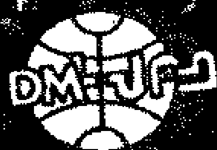
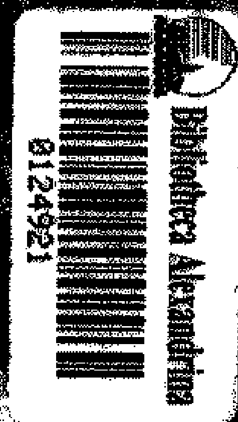
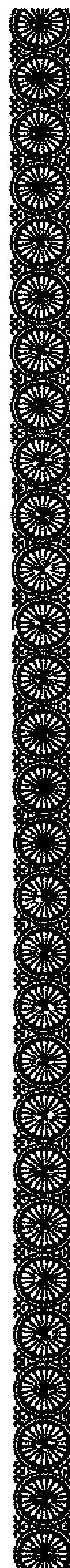
أضواء حول الثقافة الإسلامية

تقديم وتحقيق
دكتور أحمد عبد الرحيم السايح



الدار المصرية اللبنانية

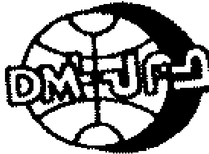




أضواء حول الثقافة الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م



الدار المصرية اللبنانية

طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبد الخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً: دار شادو - ص.ب ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX. 3909618 CABLE DARSHADO

أضواء حول الثقافة الإسلامية

تقديم وتحقيق

دكتور أحمد عبد الرحيم السايح

الناشر

الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، وجعل الإنسان متميزاً بالعقل و العلم ، و الثقافة و المعرفة .

و الصلاة و السلام على رسول الإنسانية ، خاتم الأنبياء و المرسلين ، والمبعوث رحمة و هداية للناس أجمعين .. أمّا بعد :

فإن الثقافة ليست مجموعة المعارف التى يكتسبها الإنسان ، و يحتفظ بها بطريقة معزولة عن الحياة ، بعيدة عن الممارسة ؛ و إنما الثقافة هى : المعرفة التى تؤثر فى اتجاه السلوك ، وتوجه حياة الإنسان .

و من شأن النابهين و الباحثين و الدارسين للثقافة الإسلامية أن يقفوا على قضايا الثقافة الإسلامية ؛ ليتكون لهم البناء الثقافى الذى يصعد بأبنائنا إلى مراقى المعرفة و التحصيل . سائرين فى ظلال الإسلام ، متبعين طريق الله المستقيم .

و من المؤكد : أن الإنسان المثقف هو الإنسان المهذب ، أى : الإنسان الذى شذّبت و هذبت المعارف التى اكتسبها كل سلوكه ، و خلصته من الشوائب و الانحرافات .

و بعبارة أوجز : المثقف المسلم هو : الإنسان المسلم الذى يحمل الفكر الإسلامى السليم ، و يسلك على أساسه السلوك السوى .

و على هذا الاعتبار : يكون الإنسان المثقف ، هو : الإنسان السوى السلوك ، و المستقيم الاتجاه. و ليس هو الإنسان الذى يكتنز مجموعة من المعارف و المعلومات.

و من شأن المثقف بالثقافة الإسلامية أن يتعرف على ثقافات الأمم الأخرى ؛ لأن الإنسان لا يعيش وحده فى هذه الحياة ؛ و إنما يعيش معه أناس آخرون . و أمم مختلفة المذاهب و العقائد .

و الإنسان الواعي لابد و أن يكون على معرفة بثقافات الأمم ، و قد فطن إلى هذا علماء السلف الصالح ؛ انطلاقا من دعوة الإسلام العالمية ، التى تدعو المسلمين إلى أن يتعرفوا على الناس ، و يقيموا معهم أواصر الأخوة ، والصداقة، و الأمانة ، و عرى المحبة ، و التعاون ، و تبادل المنافع ، وما يفيد الإنسانية ؛ لنشر النور الربانى بين البشر .. كل البشر .

و من شأن المسلمين أن يتابعوا الخطى فيما كان عليه السلف الصالح من قوة الإيمان ، ورسوخ العقيدة ، و من علوم أفادت الإنسان فى غير تعصب جاهلى ، أو عنصرية ممجوجة .

و بهذا نمضى فى الطريق المستقيم الذى فيه نجاتنا و صلاحنا ، و مصدر قوتنا و عزنا .. الذى وضحت معالمه ، و نحن على بينة من أمرنا .

و هذه بحوث تتصل بالثقافة الإسلامية

جاءت تلبية لحاجة الأبناء ، و رواد المعرفة ، و طلاب العلم ، الذين يريدون التعرف على العلامات المضيئة ؛ لينطلقوا فى طريق الوعى الإسلامى وهم على دراية بما هم فى حاجة إليه .

و هذه البحوث الثقافية التى أعددتها حاولت ـ قدر جهدى ـ أن تكون وافية بالمقصود ، و أقرب إلى المنهل ، يجد فيها الإنسان ما يريده حباً فى البحث و القراءة ، و ما يدفعه إلى المزيد من قراءة كتب الأمم ، و يجد فيها

الإنسان المعالم الواضحة التى تدفعه إلى السير فى الأعماق ، و هو مطمئن ، ومتفتح ، وواع ، و على بصيرة من دينه ، و كل أمره .

و إن الأمة المسلمة ـ و هى تخطو على مجد الأسلاف ـ من شأنها أن تتبصر المواقع ، و تحسن السير ، و تبحث عن العلم النافع المفيد ، المرتبط بالعقيدة الإسلامية الصحيحة . و الذى يدخل بها فى معترك الحياة .

و من شأن الأمة المسلمة أن تقرأ نفسها أو غيرها ، و تأخذ بمجامع العلم حتى تتمكن من العودة إلى دينها الذى هو مصدر عزها ؛ و من ثم تستطيع المواكبة و التقدم و الرقى الثقافى و الحضارى .

و من شأننا أن نقرأ ثقافتنا ، و ثقافة الأمم الأخرى ؛ لأن ذلك سيكشف لنا أمورا كثيرة .

و من أهم هذه الأمور : أن نتعرف على موقعنا ، و مكاننا ، و مكانتنا ، و بهذا نستطيع أن نجنى ثمار جهودنا ؛ فنزداد علما و معرفة ، و نندفع إلى التقدم فى غير خجل ، و إلى القوة فى غير طيش، و إلى العمل فى غير تواكل .

و الله ولى التوفيق .

الدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح
كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر
كلية الشريعة ـ جامعة قطر

أهمية الثقافة الإسلامية

بداية في هذا التمهيد نرغب أن نكشف عن أهمية الثقافة الإسلامية في حياتنا الجامعية ، والحياة المعاصرة .

و مما لا يحتاج إلي دليل : أن الذين اعتنقوا الإسلام و آمنوا به رأوا أن حياتهم متوقفة على فهمه، و حمله للناس جميعا . كما رأوا أن الإسلام وحده أساس وحدتهم ، و سبب نهضتهم و عزهم و مجدهم ؛ لذلك أقبلوا عليه يدرسونه و يتفهمونه .

ولما كان فهم الإنسان لا يتأتى بغير اللغة العربية ؛ أقبلوا عليها يدرسونها ويشرحونها ، و يضعون قواعدها . كما أقبلوا على العلوم الإسلامية يدرسونها ليشرحوا للناس عقيدة الإسلام ، و يبينوها بالدليل النقلي ، و تفرعت أنواع المعارف لدى المسلمين ، و تناولت أشياء كثيرة ؛ فتكونت لدى المسلمين ثقافة إسلامية متعددة النواحي ، أقبل الناس على تعلمها جميعا ، مع اهتمامهم بما في الكون من علوم و صناعات . و كان كل عالم ـ مهما كان نوع الثقافة التي تخصص بها أدبا ، أو رياضيات ، أو صناعة ـ يتثقف بالثقافة الإسلامية أولا ، ثم يتثقف بغيرها .

و التثقيف بالثقافة الإسلامية فرض على المسلمين ؛ سواء تعلقت بالنصوص الشرعية أم بالوسائل التي تمكن من فهم هذه النصوص و تطبيقها . و لا فرق بين التثقيف بالأحكام الشرعية ، أو بالأفكار الإسلامية .[1]

---

(١) سميح عاطف الزين : الثقافة و الثقافة الإسلامية ، ص : ٤١ ، ط : دار الكتاب اللبناني ، بيروت، سنة : ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

و في حياة كل أمة مفاهيم أساسية تحرص عليها ، و تعمل على ترسيخها ، و تعميق إدراكها في شئونها الفكرية و الاجتماعية و الاقتصادية ، وغير ذلك من أمور الحياة ، و تسعى كل أمة سعيا حقيقيا دائبا ، على أن تكون مفاهيمها واضحة الدلالة في ذاتها ، مرعية الجانب لدى أبنائها ، واسعة الانتشار و التداول لدى غيرها . فتؤلف الكتب ، و تعقد المؤتمرات ، و تقوم بالدراسات ، و تصدر النشرات ، و تضع مناهج التربية و التعليم ، و تستخدم بوجه عام كل وسائل الإعلام و التوجيه ، لتوضيح هذه المفاهيم و شرحها ، وبيان أسسها و خصائصها ، و تفصيل وجوه النفع فيها .(١)

و أكثر ما يهتم به قادة الفكر و الثقافة المؤمنون بمفاهيم أمتهم ، الدائبون لنشرها ، هو : نقلها من حيز النظر المجرد إلى الواقع البشرى الحى ، و وصل حياة الناس بها ، بحيث تكون مصدر فكرهم و شعورهم ، و طابع سلوكهم ، وسمة حياتهم العملية . و من هنا : يخرج مدلول الثقافة عن قصد المعرفة المجردة ، إلى المعرفة الهادفة . أو بتعبير آخر : عن المعرفة الساكنة ، التى لا تتجاوز حدود العمل الذهنى ، إلى المعرفة المحركة التى تحدث تفاعلا موضحا ، واضح التأثير مع تطلعات الفرد والجماعة.(٢)

و لا يعرف في تاريخ الأمم ـ ماضيها و حاضرها ـ أن واحدة منها أهملت في نشر ثقافتها ، أو تركتها تذوب في ثقافة غيرها ، أو تتلاشى في عقول أبنائها ، لتحل محلها ثقافات أخرى طارئة غريبة.

---

(١) عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص : ١١ .

(٢) المصدر السابق ، ص : ١٢ .

ذلك أن الثقافة في حقيقتها هي : الصورة الحية للأمة . فهي التي تحدد ملامح شخصيتها ، و قوام وجودها ، و هي التي تضبط سيرها في الحياة ، وتحدد اتجاهها فيها . إنها عقيدتها التي تؤمن بها ، و مبادئها التي تحرص عليها، و نظمها التي تعمل على التزامها ، و تراثها الذي تخشى عليه الضياع و الاندثار ، و فكرها الذي تود له الذيوع و الانتشار . (١)

و الأمم تقاس رفعة و انخفاضا بمقوماتها الفكرية ، و قيمها الأخلاقية ، و إنجازاتها العلمية . و قد كان للثقافة الإسلامية دورها العظيم في بناء الأمة الإسلامية ، و ترسيخ عظمتها ، و توطيد سلطانها ، و استمرار عطائها .

و لا يكون المرء مبالغا إذا عرف أن الثقافة الإسلامية هي ثقافة خير أمة أخرجت للناس . تميزت بعقيدتها و منهجها و قيمها و أهدافها . و كانت هذه الثقافة عاملا أساساً في إيجاد الأمة التي احتلت مركز القيادة الفكرية ، والزعامة السياسية ، و الصدارة العلمية في العالم مدة أربعة عشر قرنا من التاريخ البشري . و أمتنا ــ في الوقت الحاضر ــ أحوج ما تكون إلى هذه الثقافة ؛ فإنها هي التي تحفظ على الأمة شخصيتها الفريدة ، و عن طريقها تربط ماضيها المشرق بحاضر نرجو أن يكون سبيلا إلى مستقبل زاهر . (٢)

و قد يكون من المفيد أن نعرف أنَّ الثقافة الإسلامية :

١ ــ نظرة تركيبية شمولية عن الإسلام بوصفه عقيدة و شريعة ، ومناهج حياة .

---

(١) المصدر السابق ، ص : ١٣ .

(٢) عز الدين الخطيب التميمي ، و آخرون : نظرات في الثقافة الإسلامية ، ص : ٣ ، ط : دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، سنة : ١٤٠٤ هـ ــ ١٩٨٤ م .

٢ ـ تركز هذه النظرة الشمولية على ارتباط نظام الحياة هذا ، أو هذه الثقافة بعضها ببعض.[(١)]

و من هنا : نرى أن الثقافة الإسلامية فى مبادئها و أصولها تهدف إلى :

١ ـ تجديد صلة المسلم بالإسلام مرة أخرى ، و إعادته إلى هويته الإسلامية ، أو إعادة هذه الهوية إليه مرة أخرى .

٢ ـ إعادة الفاعلية و التوازن و التأثير للشخصية الإسلامية ؛ و ذلك من خلال إحيائها الذى يتم بهذه الثقافة ؛ لأن الثقافة تساوى الشخصية .

٣ ـ و من أهم ما تهدف إليه الثقافة الإسلامية فى المجتمعات الإسلامية : الإشارة و الإيماء إلى البديل الإسلامى عن ثقافة العصر الأوربية الوضعية ، أو المسيحية التى ما تزال تفرض وجودها من خلال الترجمات الهائلة ، والخضوع لمقاييس الفكر و الحياة الأوربية ، علينا و على جامعاتنا .[(٢)]

و لا يخفى أن المبررات و الحوافز لنهضة علمية لا يمكن أن تكون إلا ثقافية ، و الثقافة المثلى للإنسان لن تكون إلا ثقافة الإسلام .

* * *

---

(١) د . عدنان محمد زرزور : فى الفكر و الثقافة الإسلامية ، ص : ١٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص : ٢٠ ، ٢١ ، بتصرف و اختصار .

الثقافـــة

الثقافة أمر يهم الإنسان ، و خصيصة من خصائصه التى تميز بها ، وانفرد عن غيره من المخلوقات فيها .

و قد لازمت الثقافة الإنسان فى العصر الحجرى ، و العصر البرونزى ، وعصر انبثاق الحضارات المعروفة ، ثم العصور الحديثة .

و لما كانت الثقافة ملازمة للإنسان ـ أيا كان هذا الإنسان ـ كان من شأن الباحث أن يتعرف على هذه الكلمة ، التى غدت فى حياة الناس من أكثر الكلمات شيوعا و استعمالا .

و عندما يطرح الباحث سؤالا يقول فيه : ما هى الثقافة ؟ يجد أن هذا السؤال ليس سؤالا واحدا كما يبدو ؛ بل هو عبارة عن عدة أسئلة من قبيل :

ـ ما هى الثقافة التى بلغها الإنسان فى هذه المرحلة من مراحل تطوره الفكرى ؟ .

ـ و كيف يرى الإنسان هذه الثقافة ؟ .

ـ و هل هى مجرد معلومات تقتنى ، و تراكم للمعرفة فقط . أم هى معلومات و مواقف متحركة و محددة ؟ .

و عندما نبحث فى الإجابة نفاجأ بتباين الإجابات و تعددها ، حتى أن العلماء قالوا: إنه يمكن إحصاء مئات التعريفات لهذا المصطلح . و هى تعريفات متنوعة ، و متناقضة ، و وافرة العطاء ، لكنها ـ أيضا ـ كثيرة الغموض و التلون .

ففى العلوم الإنسانية بعامة ، لا تكاد توجد أحكام مطلقة ، تتوافر لها الصحة الكاملة ، و أغلب ما يمكن الوصول إليه : هو الاجتهادات العامة .

فالتعاريف التي اقترحت لتعريف الثقافة في المائة سنة الأخيرة ـ على الأقل ـ بلغت حدا من التنوع يصعب معه الاتفاق على تعريف .(1)

يقول محمود شاكر : « و الثقافة تكاد تكون سرا من الأسرار الملثمة فى كل أمة من الأم ، وفى كل جيل من البشر . و هى فى أصلها الراسخ البعيد الغور ، معارف كثيرة لا تحصى ، متنوعة أبلغ التنوع ، لا يكاد يحاط بها ، مطلوبة فى كل مجتمع إنسانى للإيمان بها عن طريق العقل والقلب ، ثم العمل حتى تذوب فى بنيان الإنسان فتجرى منه مجرى الدم ، لا يكاد يحس به ».(2)

و قد اكتسبت كلمة (ثقافة) معناها الفكرى فى أوربا ، فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر .

و الكلمة الفرنسية للثقافة كانت تعنى فى القرون الوسطى : الطقوس الدينية .

أمّا فى القرن الثامن عشر : فقد عبرت عن التكوين الفكرى عموما وعن التقدم الفكرى للشخص خاصة .(3)

---

(1) فاروق حسان : مقال بمجلة الخفجى ، أبريل (نيسان) سنة : ١٩٩٠ م ،السنة العشرون ، العدد الأول ، ص : ١٢ ، السعودية .

(2) محمود محمد شاكر : المتنبى ، رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا ، ص : ١٨ ، ط : مكتبة الخانجى ، بالقاهرة ، سنة : ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

(3) المصدر السابق ، ص : ٣٢ .

الثقافة لغة :

وقد استعمل العرب كلمة (الثقافة) للدلالة على عدة معان :

ـ منها : « الحذق » .

ـ و منها : « سرعة الفهم » .

ـ و منها : « سرعة التعليم و الضبط » .

ـ و منها : « الفطنة » .

ـ و منها : « الذكاء » .

ـ و منها : « الظفر بالشيء » .

ـ و منها : « تسوية المعوج من الأشياء ، كالرماح و السيف » .

ـ و منها : « التقويم و التهذيب ، يقال : ثقف الشيء ثقفا و ثقافا : إذا حذقه و يقال : رجل ثقف لقن ، إذا كان ضابطا لما يعلم ، قائما به ، و يقال غلام لقن ثقف ، أى : ذو فطنة و ذكاء ، و المراد : أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه ، و قد جاء في حديث أم حكيم بنت عبد المطلب : « إنى حصان فما أكلم ، و ثقاف فيما أعلم » .[1]

و يتضح من عرض المعانى المتعددة لكلمة (الثقافة) فى اللغة العربية ـ كما ذكرت المعاجم اللغوية ـ أن الكلمة تستعمل فى الأمور المعنوية . كما أنها تستعمل في الأمور الحسية ، غير أن دلالتها على الأمور المعنوية العقلية

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ثقف) ، الفيروز آبادى ، القاموس المحيط ، المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ، بالقاهرة .

أكثر من دلالتها على الحسيات .[1]

و يقول العلامة الأستاذ عمر عودة الخطيب : إن الثقافة ـ بمدلولها العام الشائع ـ كلمة جديدة لا تتصل بالمدلول اللغوى الذى ذكرته معاجمنا اللغوية ، إلا على ضروب من التأويل و المجاز ، لا تستقيم فى كل الأحوال التى تستعمل فيها كلمة (ثقافة) .[2]

ولا يخفى أن مادة كلمة (ثقافة) قد جاءت فى القرآن الكريم :

ـ قال تعالى : ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ .[3]

ـ وقال تعالى : ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ .[4]

ـ وقال تعالى : ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾[5]

وقوله تعالى : ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ معناه : أى أحكمتم غلبهم ، ولقيتموهم قادرين عليهم . يقال : رجل ثقف لقف ـ بسكون القاف ، وبكسرها فى الكلمتين ـ : إذا كان مُحْكِماً لما يتناوله من الأمور.[6]

---

(١) د . محفوظ على عزام : نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ص : ١١ ، ط : دار اللواء بالرياض ، سنة : ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

(٢) أ.عمر عودة الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية ، ص : ٢٣ ، ط : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة : ١٣٩٧هـ .

(٣) سورة البقرة ، الآية رقم ١٩١ .

(٤) سورة النساء ، الآية رقم ٩١ .

(٥) سورة الأنفال ، الآية رقم ٥٧ .

(٦) ابن عطية الأندلسى : المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، ج ٢ ، ص ١٤٠ ، ط : قطر ، سنة ١٤٠١ هـ .

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٨ ، ص ٣٠ ، ط : الأميرية ، بالقاهرة

وقوله تعالى : ﴿ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ فإنه مأخوذ من الثقاف ، أى: ظفرتم بهم مغلوبين ، متمكنا بهم .[1]

وقوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ .

معناه : تأسرهم و تحصلهم فى ثقافك ، أو تلقاهم بحبال ضعف تقدر عليهم فيها وتغلبهم . و هذا لازم من اللفظ لقوله : ﴿ فِى ٱلْحَرْبِ ﴾ .

وقال بعض الناس : معناه : تصادفهم ، إلى نحو هذا من الأقوال التى لا ترتبط فى المعنى ؛ وذلك أن المصادف قد يغلب فيمكن التشريد به ، وقد لا يغلب .[2]

وممّا يحسن أن نذكره فى كلمة (ثقافة) : أن الشعر العربى ـ وهو ديوان العرب ـ قد وردت فيه مادة الكلمة (ثقف) . و من ذلك قول الشاعر:

إن قناتى لنبع ما يؤيسها ... عض الثقاف و لا دهن و لا نار

والثقاف هنا : أداة من حديد أو خشب تثقف بها الرماح لتستوى وتعتدل ، و الشاعر يصف رمحه بأنه من شجر جيد أصيل ، لا يؤثر فيه تثقيف بالحديد ، ولا دهن ولا نار .

ومن ذلك ـ أيضا ـ قول النابغة الذبيانى :

تدعو قعينا وقد عض الحديد بها ... عض الثقاف على صم الأنابيب [3]

---

(١) ابن عطية الأندلسي : المحرر الوجيز ، ج ٤ ، ص ١٦٨ ، ط : قطر ، سنة : ١٤٠٢هـ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٦ ، سنة : ١٤٠٤ هـ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٧ ، بتصرف .

و قد وردت لفظة (ثقافة) معطوفة على لفظة (صناعة) فى مقدمة (طبقات الشعراء) لأبى عبد الله محمد بن سلام الجمحى (ت ٢٣٢ هـ). حيث قال : « و للشعر صناعة و ثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم و الصناعات ، منها : ما تثقفه العين ، و منها : ما تثقفه الأذن ، و منها : ما تثقفه اليد ، و منها : ما يثقفه اللسان » . و يرى العلماء أن مدلول لفظة (ثقافة) كما يفهم من كلام ابن سلام يعنى : الحذق، و الفهم ، و القدرة ، أو ما يمكن أن نعبر عنه بما يسمى (الملكة) . فإذا أضيفت إلى الشعر كانت ملكة الشعر ، أى : القدرة على فهمه و حذقه و نقده ، و إذا أطلقت دون أن تضاف إلى علم أو فن ، فليس ثمة ما يمنع من أن تدل على ما نطلق عليه اليوم (الثقافة العامة) . [1] فإذا جعل ابن سلام للشعر ثقافة ، فإن معنى ذلك: أن للنثر ثقافة أيضا . و هى الثقافة الأدبية و تتسع الدائرة ، و يتنوع المدلول كلما أضيفت الثقافة إلى علم أو فن خاص.

و إذا اتصف بها إنسان كانت ملكته فى فهم ضروب العلوم و الفنون والمعارف ملكة جيدة بوجه عام ، و هذا هو ما يدل عليه لفظ (المثقف) .[2]

ولفظة (ثقافة) تنسب إلى فعل ثقف ، ويعنى هذا الفعل ـ استعمالا لا وضعا ـ : اكتساب الحذق و الفهم ، كما سبق أن ذكرنا هذه المعانى اللغوية .

---

(١) أ . عمر عودة الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية ، ص : ٢٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص : ٢٥ .

و تعنى كلمة (**ثقافة**) بمعناها الضيق : عملية تنمية بعض ملكات العقل بوساطة ضربات مواتية .

كما تعنى استنتاجا : ما هو حاصل بفعل هذه العملية .

أمّا بمعنى أوسع : فهى صفة الشخص المتعلم الذى يكون قد أنمى ذوقه وحسه النقدى ، و حكمه بوساطة الاكتساب ، و أحيانا تستخدم للدلالة على عملية التربية المؤدية إلى اكتساب الصفات المذكورة آنفا .[1]

ومّما يجدر أن نشير إليه : أن المشكلة في تعريف الثقافة ليست مشكلة مخصوصة بالإنسان العربى ؛ بل هى مشكلة الإنسان أيا كان هذا الإنسان ، وعلاقة اللغة بالفكر ، و ما يطرأ على هذا الفكر من تطور يتجلى فى انتقاله من الأمور المحسة أو المادية إلى المفاهيم المجردة ، و الأمور المعنوية ، و فى حركته من البسيط إلى المركب ، و ما يطرأ على هذا و ذاك من نمو يتزايد ـ أحيانا ـ حتى يبلغ حد التركيب المعقد ، و قد تختفى صورته البسيطة الأولى إزاء ما يتراكم عليه من صور جديدة.[2]

و من هنا : يحاول الباحثون عند بحث مشكلة التعريف للأمور المعنوية ـ و هو إطلاق الاسم على شيء ما ـ أن يتبعوا أصل التعريف ، أى : معرفة المدلول الذى كان مرادا عند إطلاق الاسم على الشيء ، ثم البحث بعد ذلك فيما طرأ على هذا المدلول من تطور .

---

(١) معهد الإنماء العربى : الموسوعة الفلسفية العربية ، ج ١ ، ص ٣١٠ ، بيروت ، سنة : ١٩٨٦ م.
(٢) أ . عمر عودة الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية ، ص ٢٧ .

و ليس من شك في أن معرفة هذه الصورة ، و تقصى تاريخها من حيث معرفة الأصل ، و ما طرأ عليه بعد ذلك من تطور ، سوف يوضح جوانب كثيرة من استعمال كلمة (**الثقافة**) في اللغات الأجنبية .[(١)]

و قد أفادت الدراسات : أن الثقافة في أي عصر ليست مجرد معارف ومعلومات تلقن ؛ بل هي ثمرة ذلك التراث بحيث تظهر آثارها في المجتمع والأسرة و الفرد . و قد ذكر المفكر « هكسلي» : أن ثقافة الإنسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب ، و ما تعلم من الفنون و الآداب ، و لكن بمقدار ما أفاده العلم ، و بمقدار ما أوحت إليه الفنون من سمو في النفس ، و دقة في الشعور ، و تذوق للجمال . فالثقافة إذن تعني : السجية أو البديهة فيما يتعلق بالفرد ، و فيما يتعلق بالأمة ، فهي تعني شخصيتها و روحها ، بحيث تكون ثقافة كل شعب مميزا له عن سواه .[(٢)]

و يذكر بعض العلماء : أن الثقافة في اللغات الفرنسيةوالإنجليزيةوالألمانية يعبر عنها بلفظة (culture) و تفيد معنى الزراعة و الاستنبات .

و مما يلاحظه الباحث : أن كلمة (**الثقافة**) في الاصطلاح العرفي في العربية و غيرها تفيد معنى ما يكتسبه الإنسان من ضروب المعرفة النظرية ، و الخبرة العملية ، و كذلك المعاني اللغوية التي وردت في اللغة العربية تتصل اتصالا كبيرا بالتسوية و التعهد و التهذيب .

---

(١) المصدر السابق ، ص : ٢٨ .

(٢) د . يعقوب المليجي : المدخل للثقافة الإسلامية ، ص ٣٤ ، ط : مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ، سنة : ١٩٨٥ م .

وإن الباحث عن العلاقة بين تعاريف الثقافة ، أو ما تدل عليه فى اللغات المختلفة ، يلحظ بوضوح أن بينها روابط إنسانية ، فهى من الإنسان وللإنسان فى الحياة .

و إذا بحثنا عن دلالة كلمة (culture) التى تفيد معنى الزراعة والاستنبات وجدنا أن هذه الكلمة تدل من حيث الأصل اللاتينى فى العصور القديمة و الوسيطة : على تنمية الأرض و محصولاتها . و يقال : إن **«شيشرون»** (١٠٦ ـ ٤٣ ق. م) الخطيب و السياسى و الكاتب الرومانى المشهور ، كان أول من استعمل هذه الكلمة بمعناها المجازى ، فسمى الفلسفة (culture mentis) أى : فلاحة العقل و تنميته.[١]

ولما كانت اللاتينية أم اللغات الأوروبية من إنجليزية ، وفرنسية ، وألمانية، فقد استعملت كلمة (الثقافة) في أوائل العصور الحديثة في الإنجليزية والفرنسية بمدلولها المادي والعقلي، ثم جاء الكاتب الفرنسي (فولتير) وغيره فى القرن الثامن الميلادى، فأطلقوا هذه الكلمة دون إضافتها إلي أمر مادى أو معنوى، وغدت بعد ذلك تدل علي : تنمية العقل والذوق . أما في الإنجليزية فإن أول نص تستعمل فيه هذه الكلمة إنما يعود ـــ حسب معجم أكسفورد ـــ إلى عام ١٨٠٥ ، ولا يزال هذا المفهوم هو المعنى السائد فى اللغات الغربية.[٢]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٩ . بتصرف واختصار .

ويمكن أن يقال في إجمال دقيق: إن اللغات ذات الأصل اللاتيني، كالفرنسية والإيطالية ترجع كلمة (culture) إلى الفعل اللاتيني (clere) بمعنى ربى واعتنى كما جاءت كلمة (culture) وثيقة الصلة بزراعة وفلاحة الأرض، وتهذيب الروح، والتهذيب الرباني، وعبادة الله، والتمجيد والتعظيم. وتدور معانيها ـــ في الغالب ـــ حول العناية والتربية، ودوام التعهد والاعتناء. لهذا يعبر بهذه الكلمة (culture) في المفهوم اللاتيني للدلالة ـــ بوجه عام ـــ على الجانب الفكرى من الحضارة، ويعبر بكلمة (civilization) للدلالة على الجانب المادى، في حين أن هاتين الكلمتين مترادفتان في المفهوم الأنجلوسكسوني.

وهكذا نجد أن الغالب على استعمالات كلمة (**ثقافة**) في اللغات الأوروبية هو استعمالها في الأمور المعنوية العقلية. وبخاصة في اللغات ذات الأصل اللاتيني.[1] وكنا فيما سبق ونحن نعرض لتعريف كلمة (**ثقافة**) في اللغة العربية، عرفنا أن الكلمة تستعمل في الأمور المعنوية، كما تستعمل للدلالة على الأمور المحسة.

الثقافة اصطلاحا:

وإذا حاولنا أن نتعرف علي الاصطلاحات التي جاءت لكلمة (**ثقافة**) وجدنا أن التعاريف الاصطلاحية متعددة، وتمثل جوانب مختلفة، وهي وإن كانت متعددة، فإنها تدل على ثراء المفاهيم التي انطلقت لكلمة (**ثقافة**) .

---

(١) د . محفوظ على عزام : نظرات في الثقافة الإسلامية ، ص : ١٢ .

وإذا كانت الكلمة لم تجر علي ألسنة الأسلاف من العلماء والمفكرين، فإن المضمون للكلمة كان واضحا لدي هؤلاء الأسلاف، فقد كان يعني في العصر العباسي الأول : المشاركة البارعة في فروع شتي من المعرفة ، وبراعة تطبيقها وتصريفها.(١)

وكان المفهوم العام للثقافة عند المسلمين يعني : جمع المرء لمجموعة من المعارف. وتحصيله اللغة ، وإجادته لآدابها، فلم تكن الثقافة تنفصل عن اللغة والأدب من شعر وحكم وأمثال. فضلا عن طرف من التاريخ والأنساب والمعارف العامة.(٢)

ومثل هذا التنوع في الثقافة كانت الظاهرة العامة في أغلب الكتّاب، ورجال الحكم، وموظفي الدولة، والشعراء.(٣)

أمّا مفهوم الثقافة في الغرب: فقد ارتبطت منذ العهد الروماني بالعلوم الإنسانية، أي: العلوم التي تتميز بها كل أمة على حدة، وتنفصل فيها عن الأمم الأخرى، كعلوم الدين، واللغة والآداب التي تدخل فيها الفلسفة والفنون، أي : العلوم غير التجريبية، وفي عصر النهضة في أوروبا أصبح اللفظ يطلق علي الآداب والفنون.(٤)

---

(١) عبد الله العلايلي ، مادة (ثقف) .

(٢) د . محفوظ علي عزام : نظرات في الثقافة الإسلامية ، ص ١٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٢ .

وعند (جان لوك) يستعمل لفظ (الثقافة) فى معنى : تهذيب العقل، وتهذيب الإنسان.[1]

وأمّا الإنجليز : فقد ذهبوا إلى أن الثقافة هى : محاولة الوصول إلى الكمال الشامل، عن طريق العلم بأحسن ما فى الفكر الإنسانى، مما يؤدى إلى رقى البشرية وأن الدين من العناصر التى استعان بها الإنسان فى محاولته الوصول إلى الكمال.[2]

ومنذ نصف قرن ـــ تقريبا ـــ تعارف المفكرون في الغرب على أن الثقافة هي : التهذيب، ومحاولة الوصول إلى الكمال، وأنها جماع المعارف الإنسانية.[3]

وإذا كان ما ذكرناه بوضوح مفهوم الثقافة في الغرب، عن المسلمين، فإنه يهمنا أن نذكر مجموعة من التعاريف الواردة لمصطلح الثقافة، لتتضح الرؤية والمفاهيم.

و مما يلحظ على التعريفات الواردة : أنها تمثل نوعين من التعريف بمفهوم الثقافة، فهناك تعريفات عامة، وهناك تعريفات نمطية نوعية.

فمن التعريفات العامة للثقافة :

١ ـــ إنها العلوم والمعارف التى يطلب الحذق فيها.[4]

---

(١) د . يعقوب المليجى : المدخل للثقافة الإسلامية ، ص ٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص : ٣٣ ، ٣٤ ، بتصرف .

(٤) راجع د . محفوظ على عزام : نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ص ١٣ .

٢ ـــ إنها كل ما فيه استنارة للذهن ، وتهذيب للذوق ، وتنمية لملكة النقد والحكم على الفرد فى المجتمع . وتشتمل على المعارف ، والمعتقدات ، والفن ، والأخلاق، وجميع القدرات التى يسهم بها الفرد فى مجتمعه. ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية ، ولكل جيل ثقافته التى استمدها من الماضى وأضاف إليها فى الحاضر ، وهى عنوان المجتمعات البشرية .(١)

٣ ـــ الثقافة في حقيقتها هى الصورة الحية للأمة ، فهي التي تحدد ملامح شخصيتها . وقوام وجودها . وهي التي تضبط سيرها في الحياة ، وتحدد اتجاهها فيها . إنها عقيدتها التي تؤمن بها ، ومبادئها التي تحرص عليها ، ونظمها التى تعمل علي التزامها ، وتراثها الذي تخشي عليه الضياع والاندثار . وفكرها الذى تود له الذيوع والانتشار.(٢)

٤ ـــ الثقافة تطلق على التراث الحضارى والفكرى ، فى جميع جوانبه النظرية والعملية الذى تمتاز به الأمة ، والذى ينسب إليها ، وعلى الأمة أن تدرسه وتتفهمه ، وأن تنمه عن طريق جهدها الدائب والمستمر فى سبيل الوصول بهذا التراث إلى المستوى الذى يليق بواقع الأمة ، والذى يعبر عن تطورها الحضارى ، ونموها الفكرى .(٣)

وفى الغرب وجدت تعريفات للثقافة عامة متعددة . ويمكننا أن نختار بعضا منها :

---

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفى ، ص ٥٨ ، ط : الهيئة العامة للكتاب ، بالقاهرة .

(٢) أ. عمر عودة الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية ، ص ١٣ .

(٣) د . محمد فاروق النبهان : مبادئ الثقافة الإسلامية ، ص ١٣ ، ط : الكويت .

١ ـــ الثقافة طريقة كل شعب في حياته الخاصة ، وموقفه منها ، وآراؤه فيها ، و فلسفته تجاه مشاكلها ، ثم تصوره لوضعه في الحياة .[١]

٢ ـــ ويرى الفيلسوف الأمريكي (جون ديوى) : أن الثقافة هى حصيلة التفاعل بين الإنسان وبيئته .[٢]

٣ ـــ ويذكر (توماس هوبز) أن الثقافة هى العمل الذى يبذله الإنسان لغاية تطويرية .[٣]

٤ ـــ ويرى (ماثيو أرنولد) فى كتابه (الثقافة والفوضى) : أن الثقافة هى محاولتنا الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن ما فى الفكر الإنسانى ، مما يؤدى إلى رقى البشرية .[٤]

وهناك تعريفات عامة أخرى كثيرة ، وقد يكون من المرهق أن نبحث عنها كلها ... لأن جميع هذه التعريفات تلتقى عند تطلع الإنسان واستشرافه إلى المعرفة ، والإفادة منها .

وهنا أجد أنه من الأفضل أن أذكر بعضا من التعريفات النوعية ، والتى قالها متخصصون .

يقول علماء الاجتماع : إن الثقافة هى الكل المعقد ، الذى يشمل : المعرفة والاعتقاد ، والأخلاق، والعرف ، وأية قدرات . كذلك جميع العادات

---

(١) د . حسين مؤنس : الحضارة ، ص ٣٦١ ، ط : بيروت ، سنة : ١٩٧١م .

(٢) معهد الإنماء العربى : الموسوعة الفلسفية العربية ، ج ١ ، ص ٣١٢ .

(٣) المصدر السابق ، ج١ ص ٣١٢ .

(٤) نقلا عن الدكتور / محفوظ على عزام : نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ص ١٥ .

الأخرى التى يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا فى المجتمع .[1]

يقترب هذا التعريف من التعريف الوارد فى قاموس (أكسفورد) من أن الثقافة هى : الاتجاهات والقيم السائدة فى مجتمع معين . كما تعبر عنها الرموز اللغوية والأساطير ، والطقوس ، وأساليب الحياة ، ومؤسسات المجتمع التعليمية والدينية والسياسية .[2]

ومن المتفق عليه : أن هذا هو أول تعريف (أنثروبولوجى) للثقافة . وقد اقترحه الإنجليزى (تايلور) (١٨٣٢ ــ ١٩١٧ م) فى كتابه (الثقافة البدائية) .[3]

ويذكر علماء آخرون أن الثقافة صقل الذهن والذوق والسلوك ، وتنميته ، وتهذيبه .

أو بأنها : ما ينتجه العقل ، أو الخيال البشرى لتحقيق هذا الهدف .[4]

ومما يلحظ : أن هذا المعنى يرتبط بالأصل اللغوى لكلمة (cul-ture) فى اللغات الأجنبية وهى كلمة تعنى تعهد النبات وحرثه ، ورعايته حتى يثمر .

وعلماء التربية يعرفون الثقافة بأنها : مجموعة الأفكار والمثل والمعتقدات والتقاليد والعادات والمهارات، وطرق التفكير، وأساليب الحياة، والنظام الأسرى،

---

(١) د . فؤاد زكريا : خطاب إلى العقل العربى ، ص ٨٠ ، سلسلة كتاب العربى ، الكويت .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٣) فاروق حسان : مجلة الخفجى ، السنة العشرون ، العدد الأول ، ص ١٣ .

(٤) المصدر السابق ، العدد الأول ص ١٣ .

وتراث الماضي بقصصه، ورواياته، وأساطيره ، وأبطاله، ووسائل الانتقال ، وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد .[١]

أمّا علماء الإنسان ، فيرون : (أن الثقافة تمثل أسلوب الحياة في مجتمع ما بما يشمله هذا الأسلوب من تفصيلات لا تحصى من السلوك الإنساني) .[٢]

في تعريف آخر للثقافة : نجد أن الثقافة في جوهرها لفظ جامع ، يقصد به الدلالة على شيئين ، أحدهما : مبني على الآخر ، وهما طوران متكاملان.

الطور الأول : أصول ثابتة مكتسبة تنغرس في نفس الإنسان منذ مولده ونشأته الأولى ، حيث يشارك حد الإدراك البين ، جماعها كل ما يتلقاه عن أبويه ، وأهله، وعشيرته، ومعلميه، ومؤدبيه، حتى يصبح قادرا على أن يستقل بنفسه وعقله . وتفاصيل ما يتلقاه الولد حتى يترعرع لكي تكون له لغة يبين بها عن نفسه، ومعرفة تتيح له قسطا من التفكير، يعينه على ما نشأ بينهم من أهله وعشيرته .

الطور الثاني : فروع منبثقة عن هذه الأصول المكتسبة بالنشأة ، وهي تنبثق حين يخرج الناشيء من إطار التسخير إلى طلاقة التفكير .[٣]

تلك هي نماذج لتعريفات الثقافة بنوعيها : عامة ، ونمطية، أردنا أن نعرضها لنتعرف على أنماط مختلفة من التفكير الإنساني تجاه تعريف واحد

---

(١) د. محمود شفشق وآخرون : التربية المعاصرة ، ص ٣٩ ، ط : بيروت .

(٢) إبراهيم خورشيد : مفهوم الثقافة ، مجلة الفيصل ، العدد : العشرون ، ص ٣٢ .

(٣) فاروق حسان : مجلة الخفجي ، السنة العشرون ، العدد الأول ، ص ١٣ .

لكلمة واحدة .

ومع كثرة هذه التعريفات الخاصة بهذه الكلمة، وتعددها وتنوعها ، فقد رأى بعض الباحثين : أنها تتقارب في الفكرة ، وتتفاوت في الألفاظ . كما رأى بعضهم الآخر : أن هذه التعريفات لا تتعارض ؛ بل هي تعريفات يكمل بعضها بعضا .[١]

وبعضهم الآخر : يلحظ أن هذه التعريفات تركز على العلم والتعليم والتربية، وبعضها يركز على العادات والتقاليد، وبعضها يركز على العقائد والمذاهب ، وبعضها يركز على السلوك الاجتماعي، وبعضها يركز على الأخلاق والفنون والآداب، وبعضها يجمع بين أكثر من عنصر أو ركيزة .

ومما يلحظ من جهة أخرى: أن معظم هذه التعريفات يظهر فيها التركيز على الأمور الروحية والعقلية والمعنوية، وأن الثقافة ذاتية فردية، يختلف فيها الفرد عن الآخر ، والأمة عن الأمة ، والشعب عن الشعب الآخر وهكذا [٢] .

وأهل البحث يرون : أن الثقافة ليست شيئا جزئيا ، بل هي أمر كلي، فالثقافة ليست العلم بمفرده ، وليست التربية ذاتها، وليست العادة والتقاليد وحدها، وليست المذاهب والعقائد بنفسها، وإنما كل واحد من هذه العناصر يشكل واحدا من عناصر الثقافة.

وهناك من يرى أن التعريف الجامع المانع، أو التعريف الكلي للثقافة عبارة عن : مجموعة من الخصائص والصفات المكتسبة، تتيح للإنسان نوعا متميزا

---

(١) د . محفوظ علي عزام : نظرات في الثقافة الإسلامية ، ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦ .

من السلوك يتفوق به على غيره. هذه الصفات والخصائص يكتسبها الإنسان على مر الأيام؛ نتيجة لتطور عضوى يتلاءم به الإنسان مع بيئته ، ونتيجة لتطور عقلى يكسب الإنسان من المهارات الذهنية واليدوية ما يجعله متفوقا على من سواه، ونتيجة لتطور نفسانى ووجدانى يستطيع به أن يميز بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، وبين الحسن والقبيح ، ونتيجة لتطور اجتماعى يربط الإنسان بوحدة ما ؛ سواء كانت أسرة أو قبيلة، أو دولة، أو أمة [1].

وبكل تأكيد فإن هذا التعريف الذى عده صاحبه جامعا مانعا وكليا للثقافة ، أصبح عبئا على الباحث فى الثقافة؛ لأن من بلاغة التعريف ـــ أى تعريف ـــ : أن يكون موجزا، ودقيقا، وشاملا .

ويمكن أن أقول فى إجمال شديد : إن الثقافة تطلع الإنسان لأن يكون إنسانا ، وكفى ؛ لأن الإنسان بدون ثقافة لا يساوى شيئا .

المصطلحات الكبرى ذات الصلة الثقافية

أولا : الدين.

إن كلمة (الدين) من أكثر الكلمات استعمالا، فى القديم والحديث، ومن أكثر الكلمات ذيوعا وانتشارا فى هذه الدنيا .

ومن أحب أن يتعرف كنه دين الإسلام ، أو النصرانية ، أو اليهودية، أو المجوسية، أو البوذية، أو الوثنية، أو غيرها من الأديان التى ظهرت فى الوجود،

(١) المصدر السابق ، ص ١٦ ، ١٧ .

يحسن به أن يوفر همته قبل كل شيء على تعرف المعنى الكلي الذى يجمعها ، والقدر المشترك الذى تنطوى عليه في جملتها؛ إذ أنه من الواضح أنه وإن تفاوتت الأديان في نفسها، أو في مصادرها، أو في أهدافها، أو في قيمها، فإنها كلها يجمعها اسم (الدين) . فلا بد أن تكون هناك وحدة معنوية تنتظمها ، ويعبر عنها بهذا الاسم المشترك.[١] فما هي تلك الوحدة ؟ ما الدين؟ وللإجابة عن هذا السؤا ل لا غنى عن الرجوع قبل كل شيء إلى معاجم اللغة العربية.[٢] والمعاجم اللغوية المختلفة تقول لنا : إن الدين اسم عام يطلق في اللغة العربية على كل ما يتعبد الله ـــ تعالى ـــ به. كما يطلق على معان عدة ، منها : الملك والسلطان ، والقهر ، والطاعة ، والقضاء ، والعادة ، والمذهب ، والشريعة ، والملة .[٣]

وجاء في اللسان : الدين مفرد، جمعه أديان . يقال : دان بكذا ديانة ، وتدينَ به، فهو: دينَ ومتدين. ودانه دينا. أى : أذله واستعبده. قال أبو عبيدة : قوله : « دان نفسه » .[٤] أى : أذلها واستعبدها . وقيل : حاسبها. والدين: ما يدين به الرجل، والدين: السلطان، والدين: الورع، والدين: الطاعة.[٥]

و جاء في القاموس : الدين : الجزاء ، و الإسلام ، و العادة و العبادة ، والطاعة ، والذل ، و الداء ، و الحساب ، و القهر ، والغلبة ، و الاستعلاء ،

---

(١) د. محمد عبد الله دراز : الدين . بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، ص ٢٨ ، ط : دار القلم ، بالكويت .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨ ..

(٣) د. رشدي عليان ، وسعدون الساموك : الأديان . دراسة تاريخية مقارنة ، ص ١٩ ، ط : دار الحرية ببغداد ، سنة ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م .

(٤) هذه العبارة جزء من حديث « الكيّس من دان نفسه ، و عمل لما بعد الموت » .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (دان) .

والسلطان والملك ، والحكم ، والسيرة ، والتدبير والتوحيد ، واسم لجميع ما يتعبد الله ـ عز وجل ـ به ، والملة ، والورع .(١)

وإن المتأمل فيما ذكرته المعاجم اللغوية لمعانى كلمة الدين .. يجد أن هذه المعانى كثيرة ، وبعيدة عن بعضها . والدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه « الدين » أثبت أن المعاجم اللغوية لا تضع أيدينا على المعنى اللغوى المراد، بمفهومه الدقيق لتعريف كلمة الدين . وأنها إنما تكشف لنا فحسب عن الوجوه المتشعبة لمعانى هذه الكلمة . و التمس لهذه المراجع المعجمية العذر فى أنها وضعت لضبط الألفاظ، لا لتحديد المعانى ، و أن مهمتها هى لتقويم اللسان ، فللمعاجم العذر إن هى فى بعض الأحيان عرفت الشيء بنفسه ، أو بضده ، فتقول : البلاغ ما يتبلغ به . و الدواء : ما يتداوى به ، و الدين : ما يدان به .(٢)

وقد أرجع الدكتور دراز تلك المعانى المختلفة لكلمة « دين » إلى ثلاث معان . تكاد تكون متلازمة . و أرجع ما يلحظ من تفاوت بين هذه المعانى إلى أن كلمة (دين) ليست كلمة واحدة ؛ بل ثلاث كلمات .

و بعبارة أدق : أنها تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب . بيان ذلك : أن كلمة (الدين) تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه « دانه يدينه » .

وتارة من فعل متعد باللام « دان له » .

---

(١) الفيروز آبادى : القاموس المحيط ، مادة (دان) .

٢) د . محمد دراز : الدين ، ص ٢٩ .

و انظر : د . محمود بن شريف : الأديان في القرآن ، ص ٢٠ ، ط : دار عكاظ بجدة ، سنة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

وتارة من فعل متعد بالباء « دان به » .

وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطينا الصيغة .[1]

١ ـ فإذا قلنا : « دانه يدينه » : عنينا بذلك : أنه ملكه وحكمه وساسه ودبره ، وقهره ، وحاسبه ، وقضى في شأنه ، وجازاه ، وكافأه . فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك ، والتصرف بما هو شأن الملوك من : السياسة ، والتدبير ، والحكم ، والقهر ، والمحاسبة ، والمجازاة . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[2] أي : يوم المحاسبة و الجزاء.وفي الحديث : « **الكيس من دان نفسه** » أي : حكمها وضبطها . والديان: الحكم القاضي.

٢ ـ وإذا قلنا : « **دان له** » أردنا أنه أطاعه ، و خضع له . فالدين هنا : هو الخضوع والطاعة ، والعبادة ، و الورع . وكلمة (**الدين لله**) يصح أن يكون منها كلا المعنيين : الحكم لله ، أو الخضوع لله . فواضح أن هذا المعنى الثاني ملازم للأول ومطاوع له « **دانه فدان له** » أي : قهره على الطاعة فخضع وأطاع .

٣ ـ و إذا قلنا : « دان بالشيء » كان معناه أنه اتخذه دينا و مذهبا ، أي اعتقده أو اعتاده ، أو تخلق به . فالدين على هذا هو المذهب و الطريقة التي يسير عليها المرء نظريا أو عمليا . فالمذهب العملي لكل امرىء هو عادته وسيرته ، كما يقال : هذا ديني و ديدني . و المذهب النظري ، هو : عقيدته ورأيه الذي يعتنقه .[3]

---

(١) د . محمد دراز : الدين ، ص ٣٠ . و انظر : د . رشدي عليان ، و سعدون الساموك ٠ الأديان ، دراسة تاريخية ، ص ٢٠ .

(٢) سورة الفاتحة ، الآية رقم : ٤ .

(٣) د . محمد دراز : الدين ، ص ٣١ .

و جملة القول فى هذه المعانى اللغوية : أن كلمة الدين عند العرب : تشير إلى علاقة بين طرفين ، يعظم أحدهما الآخر .

فإذا وصف بها الطرف الأول ، كانت خضوعا و انقيادا .

وإذا وصف بها الطرف الثانى ، كانت أمرا وسلطانا ، وحكما وإلزاما.

و إذا نظرنا إلى الرباط الجامع بين الطرفين : كانت هى الدستور المنظم لتلك العلاقة ، أو المظهر الذى يعبر عنها .[1]

ويمكن أن يقال : إن المادة كلها تدور على معنى : لزوم الانقياد .

فإن الاستعمال الأول : الدين هو : إلزام الانقياد .

وفى الاستعمال الثانى : الدين هو التزام الانقياد .

وفى الاستعمال الثالث : الدين هو المبدأ الذى يلتزم الانقياد له .[2]

وإذا كنا عرفنا معنى كلمة (دين) و أصلها فى اللغة . فإن الأمر يقتضى أن نعرف معنى كلمة (دين) فى اصطلاحات العلماء .

يقول علماء الإسلام :

١ ــ « الدين وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم إياه ، إلى الصلاح فى الحال ، و الفلاح فى المآل » .[3]

---

(١) المصدر السابق ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١ .

و انظر كذلك : د . رشدى عليان ، و سعدون الساموك : الأديان ، دراسة تاريخية مقارنة ، ص ٢١ .

(٣) التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، ص ٥٠٣ .

و انظر : دائرة المعارف الإسلامية ، جـ : ٩ ، ص : ٣٦٨ .

٢ ـ « الدين وضع إلهى يرشد إلى الحق فى الاعتقادات ، و إلى الخير فى السلوك و المعاملات » .[١]

٣ ـ « الدين وضع إلهى يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول » .

٤ ـ « الدين وضع إلهى يحسن الله تعالى به إلى البشر على لسان واحد منهم ، لا كسب له فيه ولا صنع ، ولا يصل إليه بتلق ، ولا تعلم ».[٢]

ولا شك أن للدين أثره الذى لا ينكر فى توحيد الثقافة ، و فى إنمائها. يقول ت . س . أليوت : حاولت أن أكشف عن الصلة الجوهرية بين الثقافة والدين ، ووإضح ما فى كلمة العلاقة من نقص حين تستعمل للدلالة على هذه العلاقة بالذات . وأول دعوة مهمة فى هذا الموضوع : أنه لم تظهر ثقافة ولا نمت إلا بجانب الدين .[٣]

ومن هنا : تبدو الثقافة نتيجة من نتائج الدين ، أو الدين نتيجة من نتائج الثقافة طبقا لوجهة نظر الناظر .[٤]

---

(١) د . محمد دراز : ص ٣٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٤ و راجع كتابنا « بحوث فى مقارنة الأديان » ص ٨ ـ ٢٠ ط دار الثقافة بالدوحة قطر ١٩٩٠ م .

(٣) د . رشدى عليان ، و سعدون الساموك : الأديان ، ص ٢٢ .

(٤) التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، ص ٥٠٣ .

و يبدو رأى « أليوت » متفقا مع الحقائق البشرية و التاريخية ؛ فقد كان للدين أثره في كل الثقافات القديمة . ففكرة الموت ، و بناء المقابر ، والأهرامات عند قدماء المصريين ، و القصص ، و الأساطير ، و التماثيل ، والحياة الاجتماعية لدى الإغريق و الرومان ، هي مما يؤكد تأثير الدين العميق على الفكر و الحياة الإنسانية ، مثل : النظرة للحياة و الموت ، و ما وراءه ، والخير و الشر و الأخلاق، و الزى و السلوك و العمران . كما أن من المعروف أن طرق الغسل و الكفن و الدفن ، و نظام الخطبة ، و الزواج ، وأساليب الأكل ، و اللباس ، و التحية و حلق الشعر ، و الطهارة و الاغتسال ، و هي كلها جزء من الأنماط الثقافية ، يتفق فيها المسلمون رغم تباعد الأقطار، و تباين المجتمعات ، و لا يمكن تفسير ذلك التوحد إلا بالرجوع إلى الدين الإسلامي .[1]

ثانيا : الحضارة :

إن كلمة (الحضارة) كلمة لها شأنها و اعتبارها و دلائلها . وللوصول إلى معرفة ما بينها و بين الثقافة من و شائج القربى و الاتصال ، يجدر بنا أن نعرض لمعنى الحضارة لغة و اصطلاحا ، فإن معرفة ذلك يجعلنا على وعي تام بما بين الثقافة و الحضارة من روابط .

و الحضارة في اللغة : ضد البادية ، و قد تطلق على العاصمة من كل بلد ، و الحضارة ــ بكسر الحاء و بفتحها ــ : الإقامة في الحضر .[2]

---

(١) د . محمد عبد الله دراز : الدين ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) عمر بهاء الدين الأميرى : وسطية الإسلام و أمته في ضوء الفقه الحضارى ، ص ١٤ ، ط : دار الثقافة بقطر ، سنة ١٤٠٦ هـ .

و المفهوم الأصيل لكلمة « الحضارة » في اللغة العربية : أنها تعني حياة الحضر ، و الإقامة الثابتة في المدن و القرى ، و عكسها البداوة ، و هي : حياة التنقل في البادية . و لقد عرف العرب الفارق بين حياة البادية ، و حياة الحضر منذ كانت بادية ، و منذ كان حضر .

و لقد كان المفكر و المؤرخ الاجتماعي « **عبد الرحمن بن خلدون** » صاحب سبق علمي في البحث عن الحضارة و تعريفها ، تبعا لمدركات عصره و بيئته .

لقد أبان أنها : « ذلك النمط من الحياة المستقرة الذى يناقض البداوة ، فينشيء القرى و الأمصار ، و يضفي على حياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش ، و العمل، و الاجتماع ، و العلم ، و الصناعة ، و إدارة شئون الحياة ، و الحكم . و قد عبر عنها ببراعة في كلمتين صغيرتين ، يمكن اعتبارهما أكثر تعاريف الحضارة قصراً و اختصارا مع دلالة واضحة .[1] ، قال : «**الحضارة غاية العمران** » .[2]

والحضارة عند ابن خلدون : « **طور طبيعي ، أو جيل من أجيال طبيعية في حياة المجتمعات المختلفة** » .[3] وهكذا البداوة ، ولكن البداوة أقدم « **والبدو أصل الحضر** » .[4] « **والحضارة غاية البداوة** » .[5]

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٢) انظر ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٧١ .

و لا بأس أن نذكر عبارات جاءت في الموضوع عن ابن خلدون . يقول : « **إن الحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرِّفَه ، و تفاوت الأمم في القلة و الكثرة تفاوتا غير منحصر ، و تقع فيها عند كثرة التفنن في أنواعها و أصنافها ، فتكون بمنزلة الصنائع ، و يحتاج كل صنف منها إلى القَوَمَة عليه ، والمهرة فيه** » .(١)

على أنه إذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب ، على أنها ذلك النمط من الحياة المستقرة ، و الذى يناقض البداوة ، فينشيء القرى و الأمصار . إذا كان ابن خلدون بلور هذا المعنى التاريخى ، و عدّ الحضارة غاية العمران ، فإن مفهوم الحضارة فى عصرنا قد امتد إلى ألوان من المعنى ، هى أبعد و أوسع مما رآه ابن خلدون فى عصره ، و فى بيئته العربية ، فى انتقالها الاجتماعى و السياسى و الثقافى و المدنى من البادية إلى الحضر.(٢)

وبعض العلماء يعرف الحضارة بأنها : « **مظاهر الرقى العلمى والفنى والأدبى و الاجتماعى فى الحضر** » .(٣)

وهناك من يقول : « **إن الحضارة هى الحصيلة الشاملة للمدنية وللثقافة ، فهى مجموع الحياة فى صورها وأنماطها المادية والمعنوية**» .(٤)

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٢) عمر بهاء الدين الأميرى : وسطية الإسلام و أمته ، ص ١٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٦

(٤) د . سليمان حزين : مقومات الحضارة الإسلامية ، ط : المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية ، ص ٢٨٣ ، الأزهر .

ولهذا كانت الحضارة هي الخطة العريضة ـ كما وكيفا ـ التي يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم ، ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة ، والمعاصرة ومنها الأطوار الحضارية الكبرى التي تصور انتقال الإنسان ، أو الجماعات من مرحلة إلى مرحلة.

و الحضارة باختصار شديد ، هي : «**جملة المظاهر المعنوية التي يخلفها التاريخ ، و التي تبقى في المجتمع على مر الأيام دليلا على القدرات الذهنية المميزة ، و تعبيرا عن روح هذا المجتمع ، و الشعب الذي يمثله ، و لا شك أن المظاهر المعنوية تأخذ قوالب مادية مختلفة ، تتجسم فيها تلك المعنويات ، وتشكل المظاهر المعنوية في صور مختلفة كالفنون و الآداب ، و العلوم ، و المعارف ، ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تسجيلات و مشاهد في الآثار والعمائر وأسلوب الحياة ، وآداب المعاش اليومي ، وتقاليد المجتمع في التقارب والتفاهم و التعايش** » .

و إذا كان هناك من يعرف الحضارة بأنها : « **الحصيلة الشاملة للمدنية و للثقافة** » . كان علينا أن نجلي هذه الحصيلة التي تجعل الثقافة أصلا فيها .

ويذكر بعض العلماء : أن المدنية هي الوسائل ، والأدوات المادية التي يستعين بها الإنسان على تحقيق حضارته . وهي العديد من الأشياء والأدوات المادية التي تعين الإنسان على التقدم في مضمار الحضارة .

وإذا كانت الحضارة هي الإبداع في مجالات الفنون ، والمعارف ، والعلوم المدنية ، فالمدنية هي السبيل إلى تذليل الصعاب الحضارية ، والأدوات

المادية التى تبلغ بها الحضارة مستوى الإبداع و التقدم . و كلما سيطرت الحضارة على وسائلها المادية أمكنها أن تحقق ألوانا من الفن والإبداع الذى تسجله الحضارة فى جملة مظاهرها المعنوية .

وقد تؤدى الماديات المختلفة إلى رفع مستوى التقدم الحضارى ، وقد تؤدى إلى تخلفه و انحداره . والذكاء الإنسانى فى مجال استخدام الماديات هو: الحكم فى توجيه الماديات . فإمّا أن يسير بها سيرا حثيثا نحو الإبداع والتألق والتقدم . أو أن يهبط بها إلى مجال العبث و الفساد و التدهور ، و إمّا أن تسيطر القيم الروحية العالية على هذا الذكاء ، فتحدد مساره بأهداف إنسانية عالية .(١)

وأكثر الباحثين ـ ولا سيما العرب ـ يخصص مدلول الثقافة لمظاهر الرقى فى الجوانب الروحية والأدبية من : دين ، وأخلاق ، وفلسفة ، وفنون، ولغة ، و مدلول المدنية لمظاهر الرقى فى الجوانب المادية من : علوم طبيعة ، واختراع واكتشاف ، مما يتصل بتنظيم مرافق الحياة . وهكذا تتكون الحضارة من الثقافة و المدنية معا .(٢)

ويذكر أحد رجال الفكر : « **وكذلك الأمر عندنا بصفة عامة ، فنحن حين نتحدث عن الثقافة الإسلامية ، نقصد بها فى الغالب : تراثنا الروحى و التاريخى و الفلسفى و اللغوى و الأدبى و الفنى . و حين نتحدث عن الحضارة ، أو المدنية الإسلامية ، لا نقصد بها مجرد تاريخ**

---

(١) د . عبد الفتاح الديدى : مجلة الفيصل ، المجلد الأول ، العدد السابع ، ص ٧ ، الرياض .

(٢) عمر بهاء الدين الأمير : وسطية الإسلام و أمته ، ص ١٧ .

العالم الإسلامي ، و إن كان التاريخ إطار الحضارة ووعاءها ، ولانقصد الثقافة وحدها ، و إن كانت هي العنصر الجوهري في الحضارة ، ولانقصد مجرد النظم و النظريات العلمية و المخترعات، و إن كانت من مظاهر الحضارة المهمة ، و لكن نقصد من كل ذلك : مجتمعا متكاملا مؤلفا من شخصية متميزة بين الحضارات الكبرى للإنسانية » .[١] فأنت ترى من كل هذا : أن الثقافة جزء أصيل من مكونات الحضارة الإنسانية، ولا توجد حضارة في الأرض تقوم بدون الثقافة ، ويمكن أن نقول : إن كل حضارة في التاريخ عبرت عن نفسها من خلال ثقافة معينة ، ونستطيع في هذه الحالة أن نطلق لفظ (**المدنية**) على الآلية الصماء ، أو على مظاهر التقدم التقني والآلي فحسب ، فيكون الربط في نهاية المطاف ـ وباختصار شديد ـ بين الثقافة و الحضارة من جهة ، و بين العلم التجريبي والمدنية من وجه آخر . والأصل في جميع ذلك هو : الثقافة التي تصوغ الإنسان بوصفه العنصر الفاعل في جميع مظاهر التقدم على كل حال .[٢]

ولعل هذا هو ما قصد إليه الأستاذ المفكر « **مالك بن نبي** » ـ رحمه الله ـ حين قال : « إن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة ، وإن كل تفكير في مشكلة الحضارة هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة » .[٣]

---

(١) د . محمد خلف الله أحمد : أثر الحضارة الإسلامية في رقي الإنسانية ، بحث منشور ، المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية ، ص٣٠٠ .

(٢) د . عدنان زرزور : في الفكر و الثقافة الإسلامية ، ص ١٥ ، ط : المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤١١ هـ .

(٣) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ص ١٨ .

«وبذلك تكون الحضارة في جوهرها عبارة عن : مجموعة من القيم الثقافية المحققة ، و يكون مصير الإنسان رهنا بثقافته » .[1]

ويمكن أن يقال : إن بعض العلماء يفرق بين الثقافة والحضارة ، على أساس أن الثقافة ذات طابع فردى ، وتنصب أساسا على الجوانب الروحية ، فى حين أن الحضارة ذات طابع اجتماعى و مادى .

بينما يكاد الاستعمال المعاصر يسوى بين المصطلحين ، بحيث تكون الحضارة مساوية للثقافة فى المفهوم .[2] و حجة المعاصرين فى التسوية ، هى : أن التفريق بين المصطلحين يصطدم بالواقع الملموس ؛ لأن الحضارة المادية لا تنفصل عن الجانب المعنوى الذى يمثل التراث العلمى بقسميه : النظرى والعملى .

وبعض الباحثين يرى أنه لا يوجد أدنى فرق أو تعارض بين الثقافة والحضارة و المدنية ، و جميعها مظاهر للرقى الإنسانى ، و كل ما يغذى رقى الحياة من روافد هو ثقافة و حضارة و مدنية ، و الخلاف بين الحضارة و الثقافة هو خلاف فى الدرجة ، لا فى النوع .[3]

و خلاصة القول : أن هناك عدة اتجاهات لتحديد الصلة بين مفهومى الثقافة و الحضارة ، يمكن حصرها على الوجه الآتى :

١ ـ اتجاه يرى أن الحضارة تشمل الثقافة والمدنية ، الثقافة تمثل الجانب

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٠ .

(٢) مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفى ، ص ٥٨ .

(٣) د . محفوظ على عزام : نظرات فى الثقافة الإسلامية ص٢٢ .

العقلي و الروحي و الفكرى ، و المدنية تمثل الجانب المادى ، فالحضارة بناء على هذا الاتجاه أعم من الثقافة و المدنية .

٢ ـ اتجاه يرى أن الفرق بين الثقافة و الحضارة هو فرق في الدرجة ، لا في النوع .

٣ ـ اتجاه يسوى بين الثقافة و الحضارة في المفهوم ، و يرادف بينهما من جانب ، و بين العلم و المدنية من جانب آخر .

٤ ـ اتجاه يقصر الثقافة على الجانب العقلي و الفكرى و الروحي ، ويقصر الحضارة على المظاهر المادية و الاجتماعية .[١]

و لكل اتجاه ما يؤيده من المرجحات ، و نحن نرى أن الحضارة تشمل الثقافة و المدنية .

* * *

ثالثا : المجتمع :

المجتمع : ظرف مكان يضم مجموعة من الناس تلتقى في أفكارها ومبادئها ، وتسير وفق نظام معين لها ، وقد تكون لهذا المجتمع أو ذاك مواريث مخصوصة ومن هنا : تتميز المجتمعات بعضها عن بعض .

والمجتمع كلمة عامة تضم تحتها الكثير من المضاف والمضاف إليه . فيقال : المجتمع الإنسانى ، المجتمع الهندى ، المجتمع الإسلامى ، المجتمع الغربى ، وهكذا ، فكلمة (مجتمع) يمكن أن تضم الإنسانية كلها ، كما

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣ .

أنها يمكن أن تطلق على المجتمع الحيواني ، و يمكن كذلك أن تكون جزئية ، كالمجتمع الإسلامي ، باعتباره جزءا من المجتمع الإنساني ، وهكذا فكل مجتمع في الإمكان أن يتفرع إلى مجتمعات أخرى .

وإن المتأمل في مدلول كلمة (**ثقافة**) والباحث في مفهومها يجد أن صلتها بالمجتمع صلة وثيقة ، فما من مجتمع من المجتمعات الإنسانية إلا وله ثقافته التي تميزه عن غيره .

وبهذا يمكن لنا أن نقول : إن أي مجتمع لا يخلو من الثقافة ؛ لأن الثقافة طريق معرفة الإنسان .

ويتناول علماء الاجتماع الثقافة في دراستهم لطبيعة المجتمع الإنساني من جوانب عدة ، منها :

١ ـ كونها عنصرا مهما من عناصر التراث الاجتماعي ، فإلى الثقافة يعود الفضل فيما وصل إليه أفراد المجتمع من مستوى اجتماعي و حضاري .

٢ ـ كونها أبرز العوامل فيما يقع من التغير في المجتمعات الإنسانية .

في ضوء هذين الجانبين يأخذ معنى الثقافة في الدراسات الاجتماعية ذلك المنحى الذي يتصل بكل أوجه النشاط الإنساني ، الذي جاء نتيجة للاجتماع البشري ، فهي تشمل في تعريف علماء الاجتماع :(١)

١ ـ ما يتلقاه الفرد عن الجماعة من مظاهر الفنون و العلوم و المعارف والفلسفة و العقائد ، و ما إليها .

---

(١) أ . عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص ٣١ ، ٣٢ ، ط : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

٢ ـ النماذج المختلفة التي يصب فيها الأفراد سلوكهم و تصرفهم .

٣ ـ الطرق التي يوجدها أي مجتمع لسد حاجاته الأساس ، و لتقوم بتنظيم علاقاته الاجتماعية .[1]

و من هذا : يتضح أن الثقافة ـ في تفسيرهم ـ هي : كل ما يتصل بمقومات الفرد و المجتمع من النواحي العقدية ، و الفكرية ، و السلوكية ، والاجتماعية .

* * *

رابعا : الفكر :

موضوع الفكر من المواضيع التي طال حولها التفكير ، ولا يخفى أن هناك نشاطا إنسانيا يحدث بشكلين رئيسين :

ـ التفكير من أجل الحصول على معرفة بالشيء ، أو التفكير لإعمال العقل بشأن الإدارة ، وبهذا يكون عندنا التأمل ، والتدبر ، أو القصد . ويرى أصحاب (نزعة الظاهريات) أن التفكير قصدي ، أي : أنه يتوجه نحو موضوع ، وهذا الموضوع قد يكون عينيا ، وقد يكون تجريديا . والتفكير في الموضوع هو تفكير في صفاته أو في علاقاته ، ويمكن حصر الاتجاهات التي فسرت التفكير في خمسة اتجاهات :

١ـ الأفلاطونية : وهي ترى أن التفكير هو حوار في النفس ، يتضمن كلمات ذهنية تشير إلى أشكال وإلى أفراد ، وعلى هذا : فإن التفكير نشاط

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٢ .

روحى .

٢ ـ الأرسطية : وهى ترى أن التفكير فعل من أفعال العقل ، يظهر ماهية الشكل ، أو صورته العقلية .

٣ ـ التصورية : وهى ترى أن التفكير نشاط لإبراز المفاهيم ، أو الأفكار أمام العقل ، وهو إمّا نظرى ، أو يتشكل من تجريدات الخبرات المحسة .

٤ ـ التخيلية : وهى التفكير نتيجة صور تخيلية ترتبط ببعض العادات ، نتيجة ميول العقل إلى التحرك من صورة إلى صورة .

٥ ـ النزعة الاسمية السيكولوجية : وهى ترى أن التفكير هو حوار داخلى فى النفس ، يستخدم الصور اللفظية ، أو الكلمات الذهنية ، التى تشير إلى الأشياء أو فئاتها .(١)

ـ أمّا الفيلسوف الوجودى الألمانى « مارتن هيدجر » فإنه يحلل التفكير تحليلا وجوديا ، و يرى أن التفكير دليل على نقص التفكير ، وأن ما يدفعنا إلى التفكير هو : أننا لا نزال نفكر ، واللغة أساس للتفكير ، فعندما يتكلم الإنسان فإنه يفكر وليس العكس .

والتفكير بهذا المعنى نداء ، وما ينادينا أن نفكر فيه ، إنما يعطينا غذاء للفكر ، والتساؤل يعطينا التفكير والتفكر .(٢)

والفكر والكلمة حقيقتان متلازمتان فى حياة الإنسان ، وهما أبرز مظهر من مظاهر إنسانيته ، وأعمق سبب من أسباب رقيه ، وتطور حياته لأن الحياة

---

(١) معهد الإنماء العربى : الموسوعة الفلسفية العربية ، المجلد الأول ، ص ٦٥٣ ط : معهد الإنماء العربى ببيروت ، سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

(٢) السابق ، ص ٦٥٣ .

الإنسانية بكل ما فيها من مظاهر الحضارة والمدنية والرقى الاجتماعى ما هى إلا نتيجة عملية للمعرفة الإنسانية ، و لقدرة الإنسان على التعلم ، وانتزاع المعارف و العلوم و اكتسابها ، و لولا وجود هذه الظاهرة الفكرية فى حياة الإنسان لما شاهدنا للنشاطات الإنسانية التى تشكل صيغة الحياة المدنية الحضارية ، كالصناعات ، و الاكتشافات ، و العلوم ، و الفنون و الآداب ، القوانين ، والعقائد ، والأخلاق أى أثر أو وجود . (١)

وما هذه العلوم والمعارف التى أعطت الحياة الإنسانية قيمتها وصيغتها إلا نتاج الفكر ، ووليد الكلمة .

فما نشاهده من مظاهر الحضارة ، ونسيج العلاقات الإنسانية التى تربط المجتمع الإنسانى وتشكل صيغته ، إن هى رلا وليدة أفكارنا ، ونتاج الكلمة التى نتخاطب بها ، وننقل الأفكار والأحاسيس والمشاعر عن طريقها .

فالكلمة أداة الإفصاح والتعبير عن الفكرة ، ووعاء المعنى الكامن فى نفس الإنسان ، ولولا الكلمة لما استطاع الإنسان أن يوصل للآخرين ما يفكر فيه . ولولا الكلمة لما استطاع الإنسان أن يتفاهم مع الآخرين ، أو يكوّن حياته الاجتماعية التى استطاع أن يبنى كيانها الشامخ المتطور .

فالفكرة والكلمة إذن هما قاعدتا البناء الحضارى ، وهما ركيزتا الحياة الاجتماعية. (٢)

---

(١) سلسلة مفاهيم إسلامية : أهمية الكلمة، ص ٧ ، ط . دار التوحيد بإيران ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢م

(٢) سلسلة مفاهيم إسلامية (أهمية الكلمة فى الإسلام) ص ٧ ، ٨ ط : دار التوحيد. إيران ــ ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م .

لذا كان الاهتمام بالكلمة بالغ الأهمية ، باعتبارها الأداة المعبرة عن الفكر الإنسانى ؛ إذ ليست الأفكار و المفاهيم إلا عالما من الصور التى ينتجها التفكير ، و ينتزعها الفكر من العالم المحيط بالإنسان ، أو من ترجمة الإنسان لأحاسيسه و نوازعه التى تختلج فى نفسه .

وهذا العالم الصامت « **الأفكار** » يعيش فى جزيرة مقطوعة الاتصال والوجود عن بقية الناس ، فهو لا يستطيع الخروج من محيطه ، أو الإعلان عن وجوده، إن لم تمتد بين الإنسان وبين الآخرين من أبناء جنسه جسور الكلمات ، ومعابر الحروف ، التى تعبر عليها الأفكار والتصورات التى يحملها فى فكره ونفسه ، لتصل إلى الذين يراد إيصال الفكر والمراد إليهم . [1] ولمّا كانت الثقافة ليست شيئا جزئيا ، بل هى أمر كلى « فقد عرفنا أن الثقافة ليست العلم بمفرده ، وليست التربية بذاتها ، وليست العادة و التقاليد وحدها، وليست المذاهب والعقائد بنفسها ، وإنما كل واحد من هذه العناصر يشكل واحدا من عناصر الثقافة » . وبناء على هذا : يمكن لنا أن نقول دون أن نجانب الصواب : إن الفكر عنصر من عناصر الثقافة ، فالثقافة ــ أيا كانت ــ لا تستغنى عن الفكر ؛ لأن الفكر منطلق من منطلقات الثقافة .

* * *

خامسا : النظم :

النظام فى الحياة ضرورة تفرضها الحياة ذاتها . وعامل أساس لنمو الحياة و استمرارها .

---

(١) مفاهيم إسلامية ؛ أهمية الكلمة ، ص ٨ باختصار .

وتفيد الدراسات الإنسانية : أن الجنس البشرى لا بد لاطراده ، والمحافظة على كيانه و استقراره من نظام يحكمه ، و قانون يسير على هديه ، يوجهه إلى الطريق السوى ، وينأى به عن التردى في الهلاك أو الوقوع في حبائل الأهواء و النزعات . وإذا تخلى المجتمع الإنسانى عن الأخذ بنظام يسلكه ، وقانون يحكم تصرفاته ، فإنه يغدو والحال كهذه ، كقطيع من الحيوانات يأكل كبيرها صغيرها ، ويسلب قويها حقوق ضعيفها . (١)

ويذكر أحد العلماء : « **أن النظم كما نفهمها ، هى علة المجتمع الإنسانى ، وبغيرها لا يقال للحشد من الناس إنه مجتمع ؛ بل لا يقال له إنه قطيع ؛ لأن قطعان الماشية لها ضوابط وأوضاع آمرة ، وكذلك أرجال الجراد و ممالك النحل** » . (٢)

وعلى هذا يصبح المجتمع العارى عن نظام يرتديه ، أقل مرتبة من الحيوانات التى لا تدرك بعقولها معنى من المعانى .

فالنظام قانون يسير مع الحياة ، وكلمة (نظام) تعنى : كل أمر يراعى فيه الترتيب والارتباط و الانسجام ، ونظام الحكم فى أية دولة من دول العالم هو السمة المميزة لها عن غيرها . (٣)

إن النظام هو القانون الذى يربط بين أفراد المجتمع ، وفى ظله يعرف كل فرد ما له من حقوق تجاه إخوانه ، وما عليه من واجبات حيالهم ، ويدرك ماهو

---

(١) أبو بكر ذكرى : النظم الإنسانية ، ص ٦٠ ، ط : دار الفكر العربى ، سنة ١٩٦٢م.

(٢) د . عيسى عبده : دراسات المجتمع الإنسانى المعاصر ، ص ٤ ، ط : القاهرة ، سنة ١٩٥٨ م .

(٣) د . حسن عبد الحميد : النظم الإسلامية و المذاهب المعاصرة ، ص ١٢ ، ط : دار الرشيد ، بالرياض ، سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

مشروع فيما يمارسه ، و ما هو محرم عليه فينأى عنه .

و إذا رغبنا فى معرفة الارتباط القائم بين الثقافة و النظم الإنسانية ، وجدنا أن هذا الارتباط أصيل و أساس ، فالثقافة من شأنها أن تعنى بنظم المجتمعات المختلفة ، أو بنظام مجتمعها هى ، إن الثقافة من موضوعاتها التى تتناولها النظم الإنسانية .

* * *

سادسا : القيم :

يقول بعض العلماء : إن القيم اشتقت من فعل (قام) فكأنها قيام معيارى ينقل موضوعه عن غير الاستواء إلى الاستقامة ، ولكى تكون القيمة فعلا يقوم ، فهى تتمتع بقوة كافية محمولة على الصحة والفاعلية والتأثير.[1]

هكذا تتبدى القيمة كلمة متواطئة الدلالة ، تختلف باختلاف موضوعها ، وكأن طبيعة الموضوع تفترض طبيعة القيمة .

ولا يفوت الباحث أن يدرك أن دلالات القيمة تتدرج بين سلم الوعى اليومى و العلمى و الميتافيزيقى ، فهى تندغم بين ثنايا التعبير من علم اللغة إلى الفنون ، إلى علوم الطبيعة ، وتلتحم مع حقول الإنتاج الفردى والاجتماعى من الاقتصاد إلى التكنولوجيا .[2]

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (قام) .

(٢) معهد الإنماء العربى : الموسوعة الفلسفية العربية ، المجلد الأول ، ص ٦٥٢ .

وعندما ترتبط القيمة بالصفة الشخصية تضفى مقامها على الشخص فترفعه ، وترتفع به من التميز العام عن بقية الناس إلى العبقرية والبطولة والتفوق، وغير ذلك .(1)

أمّا عندما ترتبط القيمة باللغة ، فإنها تندغم فى دلالة الكلمات

ومعناها ضمن سياق الاستعمال المألوف للمفردات ، ويعد الخروج عن هذا السياق خللا قيميا، يضع الإنسان بين قوس الجهل بالمعنى الحقيقى للكلمات، أى : دلالتها المرتبطة بالمعنى الصحيح لها .(2)

و القيم التى جاءت من قام ، و من مفهوم القيمة ، ترتقى إلى أعلى ، فإذا ما أخذ بها إنسان ما ، قيل عنه : إنه صاحب قيم ، أى : رجل ملتزم بالقيم .(3) والقيم فضائل اتفق على أنها رفيعة ، كالحق ، والعدالة ، والمساواة، والحرية وغيرها من القيم .

والباحث فى مفهوم القيم يجد أنها من موضوعات الثقافة ، فالثقافة تعنى بالقيم عناية فائقة .

* * *

---

(1) محمد المبارك : الإسلام و الفكر العلمي ، ص ٢٧ ، بتصرف و اختصار ، ط : دار الفكر ، بيروت .

(2) د . عادل العوا : القيمة الأخلاقية ، ص ٨٠ ، ط : الشركة العربية للصحافة و النشر ، سنة ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م، بيروت .

(3) عبد الله كنون . مفاهيم إسلامية ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، بتصرف و اختصار ، ط . الأولى ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، سنة ١٣٨٣ هـ /١٩٦٤ م .

سابعا : المذهبية :

يقصد باصطلاح المذهبية : مجموعة من المفاهيم ، ومن المواقف ومن القواعد الموجهة التى تخص ميدانا بعينه من ميادين المعرفة أو النشاط ، وتكون ذات اتساق ، وتجانس فيما بينها .[1] والأغلب أن تعود جميعا إلى عدد محدود جدا من الأفكار المسيطرة التى تسرى من خلال كل مواقف المذهب وقواعده .

وهكذا يقال : مذهب أهل السنة ، والمذهب الشافعي ، والمذهب المادى والمذهب الاشتراكى ، والمذهب الفردى، إلى غير ذلك .

وتؤكد الكلمة المقابلة فى اللغات الأوربية الكبرى على مضمون المذهب وهى فى أغلبها تعود إلى الكلمة اللاتينية (Doctrina) وهى ذاتها على نسب واضح فى أصلها الأول مع اليونانية (Dogma) التى كانت ـ أى : الكلمة اللاتينية ـ تعنى التعليم ومضمونه المدرس فى المحل الأول ، فى مقابل ما هو بالطبيعة من جهة ، وما هو من العادات من جهة أخرى ، ثم تفرع من هذا المعنى معانى النظرية ، والعلم ، والثقافة . ولا يزال ذلك المعنى الأصلى واضحا فى تعبير مثل : (**الكنيسة الكاثوليكية**) . فهو يدل على مذاهبها .[2]

---

(١) محمد حسن آل ياسين : مفاهيم إسلامية ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، بتصرف واختصار باللفظ والمعنى، ط : الأولى ، مطبعة أسعد ببغداد ، سنة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م . الناشر : مكتبة النهضة ببغداد .

(٢) عزت قرنى : الموسوعة الفلسفية العربية ، المجلد الأول ، ص٧٣٩ .

أمّا الكلمة العربية : فإنها تدل على مضمون المذهب ، وكذلك على طريقة تناول السائل من وجهته أى : تدل على المضمون ، وعلى المنهج معا . بل إنها فى أصلها اللغوى الأول : لتدل على الطريقة ، وعلى الطريق فى المحل الأول .[1]

جاء فى القاموس المحيط : « المذهب هو المعتقد الذى يذهب إليه والطريقة والأصل » .[2]

و الكلمة على ما هو واضح على وزن (مفعل) دالة على اسم مكان، وهكذا فإن كلمة (المذهب) تدل على الرأى ، وعلى الطريقة معا ، فمذهب الشافعية مثلا ليس مجموعة من الآراء و القواعد و حسب ؛ بل هو طريقة فى تناول الأمور كذلك .

وإذا كان المذهب و المذهبية مجموعة من الآراء و القواعد ، وطريقة فى تناول الأمور ، فإن الثقافة تجعل ضمن الأمور التى تدخل فى موضوعها المذهب و المذهبية .

وبعبارة أخرى : ليست المذهبية بعيدة الصلة بالثقافة ؛ بل بين الثقافة والمذهبية اتصال قد يكون قريبا ، و قد يكون بعيدا حسب حالة المثقف .

* * *

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٣٩

(٢) الفيروز آبادى : القاموس المحيط ، مادة (ذهب) .

مفهوم الثقافة الإسلامية

إن للإسلام مفاهيم صحيحة سليمة كاملة فى كل شأن من شئون الكون والإنسان والحياة ، وإذا كانت المفاهيم عن هذه الشئون لدى العقائد المحرفة ، ولدى كثير من الفلاسفة والمفكرين ، وواضعى النظم من البشر ، تتسم بالغموض والتعقيد تارة، أو يجانبها الصدق والعمق تارة أخرى ، أو تصدر عن الفرض والتخمين حينا ، وعلى الأساطير والأوهام حينا آخر . فإنها بذلك لا ترتكز على الحقائق الناصعة الثابتة ، ولا تقوم على قواعد يقينية جازمة .

أمّا مفاهيم الإسلام ، فهى : مبرأة من هذه الآفات كلها ؛ لأنها ليست منبعثة عن نظرة بشرية محدودة ، لا تستوعب ذاتها ، فضلا عن أن تستوعب غيرها ، وهى تسفه المنطق السطحى ، وتهدم الظن والوهم ، وتعده زراية بالعقل ، واستهانة بكرامة الإنسان . أمّا الأساطير التى تصدر عنها تلك العقائد والتصورات فهى ـ فى مفاهيم الإسلام ـ أشلاء ممزقة ميتة ، لا يصدقها أو يتعلق بها من أوتى حظا من نظر وتفكير . وهى سذاجة ضالة مردية ، لا تليق بحقيقة هذا الإنسان الذى حباه الله العقل ، وأرشده إلى دلائل المعرفة الصحيحة ، وزوده بوسائل النظر السديد.

إن مفاهيم الإسلام منبثقة عن عقيدة ربانية شاملة ، لا ترتكز إلا على الحقائق الجلية الثابتة ، ولا تقوم إلا على اليقين الجازم ، وهى متسمة بالوضوح والصدق والعمق . وتقيم ـ من حيث الاعتقاد والتفكير ـ لدى البشر جميعا التصور الصحيح الدقيق المتكامل للكون والإنسان والحياة .[1]

---

(١) أ . عمر عودة الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

إن منهج الإسلام فى ارتكازه على الحقائق اليقينية الهادية ، يربط الحقائق المفردة فى الكون والحياة ربطا يصلها بأجل حقيقة وأكبرها ؛ وهى العقيدة ، وبذلك لا يدع هذه الحقائق المبثوثة أمام العقل الإنسانى والشعور والضمير ، ضروبا من المعرفة الجامدة ، والمعلومات المجردة ، التى لا روح فيها ولا حياة لها ، كما تحاول خرافة المنهج العلمى أن تصنع ؛ بل يبث منهج الإسلام فى هذه المعارف والمعلومات والحقائق الظاهرة والمضمرة حياة تفتح البصائر ، وروحا توقظ الضمائر ، ويزودها بالتأثير العجيب الذى يعمق أوثق أواصر الصلة بين الحقائق الهادية ، والعقول المستنيرة ، والقلوب المتفتحة للإيمان و الخير .(١)

والثقافة عنصر مهم من عناصر حياة الأمم ، تتبين بها صورة كل أمة ، وتتميز بها صيغتها ولونها بين أقرانها . وهى تدل فى نفس الوقت على تقدمها ، وعلى درجتها فى المدنية والحضارة ، وهى تكون سبب كرامتها وزينتها أيضا .(٢)

والمعرفة والثقافة وسيلتان لغاية أبعد ، وهدف أكبر . وهل ثمة أجل وأسمى من أن تستحيل المعرفة إلى طاقة محركة ، وقوة دافعة ، تصبغ الواقع الإنسانى فى إطار الضمير و الشعور والسلوك بصبغة هذه المفاهيم النقية الخيرة ، وتتمثل فى حياة البشر نظاما وخلقا ، وجهادا وحكما ، وقيادة صالحة تحمل مشاعل الحق والنور لهذه الإنسانية التى وضعتها المفاهيم الضالة المنحرفة على

---

(١) السابق ، ص ٥٤

(٢) محمد الرابع الحسنى الندوى : الثقافة الإسلامية و الواقع المعاصر ، ص ٥٧ ، ط : دار الصحوة بالقاهرة ، سنة ١٤١٠ هـ .

حافة الدمار الرهيب . فينبغي أن تنقلب هذه المفاهيم واقعا بشريا حيًا ، ونماذج إنسانية فاعلة ، حتى لا تكون كالماء المسفوح على قيعان لا تمسكه ، ولا تنتفع به .(١)

وقد أوضح رسول الله ـ ﷺ ـ العلاقة الوثيقة بين المعرفة والعمل ، وضرورة توافر الأمرين معا ، ونجد ذلك واضحا فيما جاء عن أبي موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « **مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير ، أصاب أرضا ، فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها أجاذب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا و زرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى به الله . فعَلِمَ وعَلَّمه ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به** » .(٢)

وبناء على ما وضح لنا من أن الثقافة عنصر مهم من عناصر حياة الأمم، يمكن أن نصل إلى أن الثقافة الإسلامية فى أوضح تعريف لها : (هى المعارف التى كانت العقيدة الإسلامية سببا فى بحثها ، كعلم التوحيد ، والفقه ، والتفسير ، والحديث ، وعلوم القرآن ، وعلوم الحديث ، وعلوم اللغة العربية ، ومُصطلح الحديث ، وعلم الأصول) .(٣)

---

(١) ا. عمر عودة الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية ، ص ٥٤ .

(٢) الحديث : رواه البخارى و مسلم .

(٣) سميح عاطف الزين : الإسلام و ثقافة الإنسان ، ص ٣٨ ، ط : بيروت ، سنة ١٩٨٢ م

وإن الباحث في هذا التعريف أعماقا وأبعادا يفهم منه : أن الثقافة الإسلامية هي الصورة الحية للأمة المسلمة . فهي التي تحدد ملامح شخصيتها، وقوام وجودها ، وهي التي تضبط سيرها في الحياة ، وتحدد اتجاهها فيه : إنها عقيدتها التي تؤمن بها ، ومبادئها التي تحرص عليها ، ونظمها التي تعمل على التزامها ، وتراثها الذى تخشى عليه من الضياع والاندثار ، وفكرها الذى تود له الذيوع والانتشار .[1]

فالثقافة الإسلامية هي الشخصية الإسلامية التي تقوم على عقيدة التوحيد ، وعلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، والأخلاق الإيمانية المستقاة من مصادر الإسلام الأساس ، وهي : الكتاب و السنة .

فالثقافة الإسلامية ترتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة ومنهج التفكير ، فالثقافة هي وليدة العقيدة والمنهج ، ونتاج التحصيل العلمي الملتزم بهذين المحورين .

* * *

نشأة الثقافة الإسلامية و تطورها :

جاء الإسلام إلى الناس جميعا ، لا يختص بأمة دون أمة ، ولا يقتصر على زمن دون زمن ، وقد قال الله ـ تعالى ـ لرسوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[2] وأكد ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ ، بقوله :

« **بعثت إلى الناس كافة : الأحمر والأسود** » .[3] ومن هنا كانت الثقافة الإسلامية ثقافة للناس جميعا ، بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٢) سورة سبأ ، آية رقم ٢٨ .

(٣) رواه البخارى .

فقد اشتملت هذه الثقافة على كل المعطيات التى تجعلها صالحة لتكون ثقافة للإنسان ، ذلك أنها نظرت إلى فطرته وعالجت غرائزه ، واحترمت عقله، فكان لها فى حياة الإنسان أهمية ومكانة تجعل الوقوف عليها والأخذ بها واجبا على المسلم؛ بل على الإنسان .

ولقد أدرك السلف هذا الواجب ، فأخذوا بها ،وكان لها بالغ الأثر فى تحديد معالم الشخصية الإسلامية لدى الفرد ، ولدى المجتمع .

ونستطيع أن نقول دون أن نكون بعيدين عن الواقع : إن الثقافة الإسلامية نشأت منذ أن أشرق الإسلام بنور الهداية ، ولقد أصبحت الثقافة الإسلامية فى ظل انتشار الإسلام و ظهوره ثقافة إنسانية وعالمية ، وقد انطوت على طاقة روحية جعلت منها قوة فاعلة ، يضاف إلى ذلك أن الثقافة الإسلامية تمتد على مساحة الدنيا والآخرة ، و هذا الامتداد الزمانى والمكانى الموغل فى الأعماق، جعل الثقافة الإسلامية تختلف عن ثقافات ، بعضها يتوغل فى ماديات الحياة ، ثم يضفى عليها مسحة من العبادة والفلسفة ، وبعضها الآخر يسلك طريق الروحية التجريدية .

أمّا الثقافة الإسلامية : فقد جمعت بين الروح والمادة ، ولهذا لاءمت حياة الناس .

ولما كان الإسلام دين قيم وضوابط سلوكية ، كانت الثقافة الإسلامية موجهة ومربية ، تتصل بحياة الأفراد ، وحياة الجماعات .[1]

---

(١) راجع الدكتور أحمد السايح (المعرفة فى الإسلام بين الأصالة والمعاصرة) ص ٦٠ ط: دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

يقول الأستاذ (ليوبولدفايس) الذى أسلم ، وتسمى باسم (**محمد أسد**) : يخبرنا التاريخ أن جميع الثقافات الإنسانية ، وجميع المدنيات : أجسام عضوية ، تشبه الكائنات الحية ، إنها تمر فى جميع أدوار الحياة العضوية التى يجب أن تمر بها ، إنها تولد ، ثم تشب وتنضج ، ثم يدركها البلى فى آخر الأمر ، فالثقافات كالنبات الذى يذوى ، ثم يستحيل ترابا ، تموت فى آخر أيامها ، وتفسح المجال لثقافات أخرى ولدت حديثا .

أهذه إذن حال الإسلام ؟ . ربما ظهرت كذلك عند إلقاء أول نظرة سطحية .

ممّا لا شك فيه : أن الثقافات الإسلامية شهدت نهضة مجيدة ، وعهدا من الازدهار ، وكان لها من القوة ما يلهم الرجال جلائل الأعمال ، وأنواع التضحية .

ولقد غيرت معالم الشعوب ، وأوجدت دولا جديدة ، ثم سكنت وركزت ، وأصبحت كلمة جوفاء .

وإذا كنا نعتقد أن الاسلام ليس مدنية من المدنيات الأخرى ، وليس نتاجا بسيطا لآراء البشر وجهودهم ؛ بل هو شرع سنه الله لتعمل به الشعوب فى كل زمان ومكان ، فإن الموقف يتبدل تماما .

وإذا كانت الثقافة الإسلامية ـ فى اعتقادنا ـ نتيجة لاتباعنا شرعا مُنزّلاً ، فإننا حينئذ لا نستطيع أبدا أن نقول : إنها كسائر الثقافات خاضعة لمرور الزمن ، ومقيدة بقوانين الحياة العضوية .(1)

---

(1) محمد أسد : الإسلام على مفترق الطرق ، ص ٦٢ .

وقد يفهم الناس المتعلمون من مقولة محمد أسد : أن الثقافات غير الإسلامية تتطور حتى تنتهي ، فتطورها التصاعدى ينقلب إلى تنازلى . (**إنها تولد ثم تشب وتنضج ، ثم يدركها البلى فى آخر الأمر**) . ولكن الثقافة الإسلامية التى تعتمد على الكتاب والسنة ، والثوابت من الإسلام لا تخضع لمفهوم التطور الذى ينتهي بالتطور إلى الهلاك ، وإنما الذى يتطور فى الثقافة هو ملاحقتها لمختلف العلوم والفنون والأفكار المختلفة .

موضوعات الثقافة :

إن المتأمل فى موضوعات الثقافة الإسلامية يجد أن هذه الموضوعات تتسع اتساع الإسلام وعلومه .

ومن المعروف أن الإسلام قد وثب بالمسلمين وثبة هائلة ، وهذه الوثبة الهائلة كانت على أثر إشعاع القرآن الكريم فى جنبات الدنيا والإنسانية ، فأنارها بعد ظلمة ، وهدى الإنسانية بعد حيرة ، ونظمها بعد اضطراب ، وفتق أذهان أبنائها بعد إرتاق ، وأزال الأصفاد والقيود التى كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر ، فانطلق المسلمون يقرأون ويبحثون ، ويطلبون العلم فى مظانه ، واستطاعوا فى ظل الثقافة الإسلامية التى دعت الناس إلى معرفة كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى طريق الرشاد أن ينتقلوا من أمة الأمية الى أمة العلم والقيادة الفكرية ، وأن يصبحوا أساتذة العلم والعالم ، وقادة الفكر والرأى ، ورواد المعرفة والحضارة ، وبحثوا ، ودرسوا وأضافوا ، وجددوا وابتكروا ، فكان ذلك النتاج الحضارى الأصيل .[1]

---

(١) الدكتور أحمد السايح : فلسفة الحضارة الإسلامية ، ص ٦٢ ، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بالقاهرة ، سنة ١٤١٠ هـ .

وقد حققوا ذلك على الرغم من الأحداث العاتية التى حملوا أعباءها ، والحروب الطاحنة التى خاضوا غمارها .

لأن الأحداث والخطوب ـ وإن بلغت ما بلغت ـ لا تستطيع أن تقف فى طريق العقائد التى انطوت عليها القلوب ، ولا أن تمنع العزائم القوية من الوصول إلى أغراضها وأهدافها .[1]

ولقد اشتملت توجيهات القرآن الكريم الثقافية على : أصول ومبادىء عامة ، صلحت لأن تكون منهجا فكريا سليما حدد به المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة ، واستطاعت هذه التوجيهات أن تمكن المسلمين من الاستفادة من تلك الدرة الغالية ، التى منحها الله للإنسان ، وهى العقل ، فنمته ، وجعلته يمارس الوظيفة الأساس التى خلق من أجلها ، حتى كانت للمسلمين ثقافة وعلوم ومخترعات وحضارة عالمية ، لن ينسى التاريخ دورها فى تحويل مجرى الإنسانية ، ولن تنسى الإنسانية دور المسلمين فى بناء الحضارة بأصالة وعمق . لقد انطلقت الثقافة الإسلامية لتستوعب علوم المسلمين ، وغير المسلمين .[2]

فكان من موضوعات الثقافة : التشريعات ، والفلسفة ، والقوانين ، والطب ، والفلك ، والأدب ، والاجتماع ، والرياضيات ، والتاريخ ، والجغرافيا ، وآداب السلوك والاجتماع .

وعرفت الثقافة أن لكل هذه العلوم والمعارف أساتذة عباقرة كأئمة الحديث ، ورجال الفقه ، وعلماء اللغة ، والأدباء ، والشعراء .[3]

---

(١) الدكتور أحمد السايح : مستقبل الحضارة الإسلامية ، ص ٤٢ ، ط : الأزهر .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٣ بتصرف .
(٣) المصدر السابق .

منهج الثقافة الإسلامية :

انطلقت الثقافة الإسلامية من : الكتاب والسنة ، تأخذ بالمثقفين المسلمين إلى كل ما من شأنه أن يأخذ بهم إلى طريق الفلاح ، وبالثقافة الإسلامية كانت انطلاقة المسلمين بحثا عن الحكمة ، لأنها ضالة المؤمن . وأخذت الثقافة الإسلامية تتدرج في أطوار مختلفة ، حتى فتح المسلمون نافذة واسعة ، أطلوا منها على العالم ، وقد اتخذت الثقافة الإسلامية منهجا من شأنه أن يصل بالإنسان إلى كل ما يفيد ، وهذا المنهج يقوم على ما يأتى :

أولا : تحرير الإنسان من أصفاد الجهل وظلمته ، لأن الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر ، ويطفيء نور القلوب ، ويعمى البصائر ، ويميت عناصر الحياة والقوة فى الأفراد والجماعات والأمم ، ويفسد على الناس مناهج الاستقامة والسلوك المستقيم ، والجهل هو الذى يجعل النفوس مستعدة لقبول الزيف والبدع والأهواء والخرافات والأساطير .

ثانيا : تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلى ، وتربيته تربية تقوم على حرية الفكر ، واستقلال الإرادة ، ليكمل بذلك العقل ، ويستقيم التفكير ، وتكمل الشخصية الإنسانية ، لأن كمال العقل واستقامة التفكير أساس فى صحة العقيدة وكمال التدين ، ومعرفة الحق الذى يجب أن يتبع ، ومعرفة الباطل الذى يجب أن يتجنب .(1)

وقد عنى الإسلام بيناء تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلى عناية كبرى ، فجعل البرهان أساس الإيمان الصحيح ، وبين أن كل اعتقاد لا يقوم

---

(1) الدكتور أحمد السايح : فلسفة الحضارة الإسلامية ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

على دلائل الحق ، فهو مردود ، وأنذر الذين يجادلون فى الله بغير علم ولا كتاب ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ * ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾[1] .

ثالثا : تحرير الإنسان من طاعة الأهواء ، والانقياد الأعمى لمغرياتها ؛ لأن طاعة الأهواء من أقوى عوامل انحراف الإنسان فى سلوكه ، والتوائه فى نظره وتفكيره ، وهؤلاء الذين يطيعون الأهواء لا يستقيم لهم رأى ، ولا تعتدل لديهم موازين ، ولا يخضعون لحق ليس فى جانبهم .

ولهذا عنى الإسلام بتحذير الناس من اتباع الهوى ، ونعى عليهم ضلالهم ، قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] .

وإذا كان الإسلام يدعو إلى تحرير الإنسان من أصفاد الجهل ، وأغلال الحجر العقلى ، وسيطرة التبعيّة العمياء ، فإن ذلك يعنى أن التقليد الذى ذمه الإسلام هو : التقليد الذى لا يميز بين الخير والشر ، وتقليد أهل الغواية والضلال ، أمّا تقليد أهل الحق من الأئمة والدعاة الذين استمدوا علومهم من القرآن والسنة المطهرة ، فهو من قبيل القدوة الواعية[3] .

---

(١) سورة الحج ، الآيتان : ٨ ، ٩ .

(٢) سورة القصص ، آية رقم ٥٠ .

(٣) انظر الدكتور أحمد السايح : فلسفة الحضارة الإسلامية ، ص ١٠٩ .

وحرية الفكر التى دعا إليها الإسلام هى الحرية التى تطلق العقول والأفهام من أغلال الحجر العقلى ، والكبت الفكرى ، وتجلى معالم الحقائق ، وتجعل قيادة التوجيه قيادة بناء وإصلاح وإرشاد ، تستمد مقوماتها من هدى الإسلام وتعاليمه وتوجيهاته .

وطريق الثقافة قد حدده الإسلام بالقرآن والسنة ، فيما يتعلق بالقضايا الأساس والعقدية فى حياة الناس ، أمّا ما سوى ذلك : فإنه يمكن أن يؤخذ عن طريق الحواس والتجربة والعقل الذى يزن كل معطيات الحواس .(١)

مصادر الثقافة الإسلامية :

لقد أيقن المسلمون أن حياتهم إنما هى من أجل الإسلام ، وأن الإسلام بعقيدته وأحكامه وثقافته هو أساس نهضتهم ، وعنوان عزهم ، فأخلصوا له ، ولذا أقبلوا على القرآن يتدبرونه ويفسرونه ، وعلى الحديث يروونه ويجمعونه ، وأخذوا يستنبطون الأحكام التى تعالج مشاكل الإنسان ، ويتتبعون أخبار النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغزواته ، يحفظونها ويتناقلون أخبارها ، وعلى المغازى والفتوحات يسجلونها ، ويوثقون أحداثها .

ولمّا كان فهم القرآن لا يتأتى بغير اللغة العربية ، أقبلوا على اللغة العربية يدونون ألفاظها ، ويحددون معانيها ، ويشرحون ويضعون قواعدها . ثم لما انتشر الإسلام أقبل الناس عليه فدخلوا فيه وأخلصوا له ، فكان أن تفرعت نتيجة هذا أنواع المعارف الإسلامية كافة لدى المسلمين ، وأخذت هذه المعارف تنمو بالدرس والتعمق فى البحث ، فتكونت لدى المسلمين ثقافة

---

(١) الدكتورأحمد السايح : فلسفة الحضارة الإسلامية ، ص ١٠٩ .

إسلامية ، متعددة النواحي [1] .

وكان المسلمون يهتمون بهذه الثقافة ، مع اهتمامهم بما في الكون من علوم وصناعات ، ويمكن القول : بأن الثقافة الإسلامية تستمد من المصادر الآتية :

أولا : القرآن الكريم :

فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للثقافة الإسلامية ، وهو مصدر المصادر كلها ، له من الخواص والتوجيهات والأحكام والإعجاز ما يؤكد أنه موحى به من عند رب العالمين ، وفيه خبر من قبلنا ، ونبأ من بعدنا ، وفصل ما بيننا ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، وهو سجل الكون الإلهي ، ونظام الحياة العالمي [2] .

قال تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [5] .

ثانيا : السنة النبوية :

والسنة النبوية هي : أقوال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأفعاله وتقريراته ، وهي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم ، والاعتماد عليها

---

(١) عز الدين الخطيب التميمي ؛ وآخرون :نظرات في الثقافة الإسلامية ، ص١٤ ، ١٥ ، ط : دار الفرقان ، بالأردن ، سنة ١٤٠٤ هـ .

(٢) د . محفوظ علي عزام : نظرات في الثقافة الإسلامية ، ص ٣٣ .

(٣) سورة الأنعام ، آية رقم ٣٨ .

(٤) سورة الإسراء ، آية رقم ٩ .

(٥) سورة النساء ، آية رقم ٨٢ .

أمر بالغ الأهمية فى بناء الثقافة الإسلامية ، وإيجاد المثقف المسلم [١] .

والسنة بيان للقرآن ، وتفصيل لمجمله ، وتأكيد لأحكامه [٢] . قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [٣] .

وقد اشتغل المسلمون بالسنة ، فدونوا الحديث ، وانكبوا على حفظه وفقهه ، واستنباط الأحكام الشرعية منه ، فكانت السنة منبعا للتشريع والثقافة ، ومن الكتب التى دون فيها الحديث : صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وسنن الترمذى ، وسنن أبى داود ، وسنن ابن ماجه ، والنسائى ، وموطأ مالك، وكتب أخرى كثيرة [٤] .

ثالثا : التراث الإسلامى :

وعبارة التراث الإسلامى تضم كل ماورثه المسلمون عن الأسلاف من علوم ومعارف وأفكار واجتهادات فى شتى المجالات المختلفة [٥] .

رابعا : الجهود والخبرات الإنسانية :

والجهود الإنسانية النافعة ، والخبرات البشرية المفيدة فى العلوم والصناعات ، والنظم المختلفة تعتبر من مصادر الثقافة الإسلامية ، لأننا مطالبون كمسلمين بأن نلتمس الحكمة أنى وجدناها،شريطة ألا تتعارض هذه الجهود

---

(١) د . محفوظ على عزام : نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ص ٣٤ .

(٢) الشيخ محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٤٩٢ ، ط . الأزهر ، سنة ١٩٦٤م.

(٣) سورة النحل ، آية رقم ٤٤ .

(٤) صبحى الصالح : علوم الحديث ومصطلحاته ، ص ٣٩٦ ، ط : بيروت .

(٥) د . محفوظ على عزام : نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ص ٣٣ .

والخبرات الإنسانية مع الكتاب والسنة .[1]

هذه هي مصادر الثقافة الإسلامية بإيجاز شديد ، ولا شك أن هذه الثقافة بمصادرها المختلفة كافية لإبراز شخصية المجتمع الإسلامي .

أهمية الثقافة الإسلامية

أهمية الثقافة الإسلامية كمادة تدرس في معاهد العلم المختلفة ، والجامعات الإسلامية تعود إلى النقاط الآتية :

١ ــ إعادة بناء التطور الإسلامي في عقلية الطالب الجامعي على نحو يرى فيه النظرة الشاملة الكلية للحياة ، وما يدور فيها من أنشطة مختلفة .

٢ ــ وأن يكون هذا التصور من خلال تجربة الإسلام الحضارية الرائدة ، مع عرض واقع المسلمين ، وما أصابهم في عهود الضعف والتخلف ، وواقع الإحلال الثقافي ، والغزو الفكري والسياسي والاجتماعي ، الذي حل بهم .

٣ ــ إحياء الانتماء إلى الإسلام ، ولأمته ، بتزكية روح العمل به ، وبيان دوره الأساسي في علاج الواقع .

٤ ــ القيام بوصل العلوم التجريبية الحديثة بجهود الأسلاف في نفس الميادين ، والاقتدار على التوفيق بين حقائق الدين ، وحقائق العلم ، والعمل على وحدتهما ، لترشيد العلم ، سعيا إلى خير البشرية في الدنيا والآخرة .

٥ ــ دراسة الاتجاهات الإصلاحية والتجريدية التي يموج بها العالم الإسلامي ، وأساليبها وتقويمها لكشف الباطل منه ، وتقوية الصالح فيها .[2]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٢) د . أحمد العسال : مادة الثقافة الإسلامية ، مقال بمجلة (المسلم المعاصر) العدد الخامس عشر.

٦ ـ ضرورة وجود بالنسبة للإنسان المسلم فى عصر الصراع الإيديولوجى

٧ ـ ضرورة لمحاربة الإحلال الثقافى والغزو الفكرى ، المتمثل فى تشر المذاهب الهدامة ، والتصورات الباطلة .

٨ ـ ضرورة لتقديم فكرنا الإسلامى الأصيل ، وتجربتنا الرائدة للعالم كله .

٩ ـ ضرورة للحفاظ على ذاتية المسلم وهويته فكرا وسلوكا .

١٠ ـ ضرورة لتفاعلنا مع عالم اليوم الذى يحترم من يصارعه ، لا من يقلده ويحذو حذوه .(١)

تلك نقاط فى أهمية الثقافة الإسلامية ، وقد يكون غيرها كثير .

* * *

صلة الثقافة الإسلامية بالدين :

لقد سبق أن ذكرنا أن الثقافة الإسلامية تعرف بأنها : المعارف التى كانت العقيدة الإسلامية سببا فى بحثها ، كعلم التوحيد ، والنقد ، والتفسير، والحديث ، وعلوم القرآن ، وعلوم الحديث ، وعلوم اللغة العربية ، ومصطلح الحديث ، وعلم الأصول ، فهذه كلها ثقافة إسلامية ؛ لأن العقيدة الإسلامية هى السبب فى نشوئها وبحثها .

والثقافة الإسلامية بهذا المفهوم تنبع من الدين ، فالدين الإسلامى مصدرها ، وهذه الثقافة تعتمد على الشريعة المتمثلة فى كتاب الله ، وسنة

---

(٢) د . محفوظ على عزام : نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ص ٣٢ .

الرسول ـ ﷺ ـ ، وأن الجانب المعيارى في هذه الثقافة هو : جانب الشريعة ، وهو جانب إلهى ثابت يصف ما يجب أن تكون عليه الحياة على الأرض بمن عليها ، وما عليها ، ولذلك فهو جانب مطلق وملزم ، أمّا جانبها التطبيقى العملى فهو لازم لزوما حتميا للجانب المعيارى .(١)

والثقافة الإسلامية بالمفهوم السابق تؤكد الصلة الدائمة بين المسلم وربه، وذلك من خلال تمرسه بها يوميا ، وهى ثقافة عابدة ، لأنها تجعل الإنسان يفرد ربه بالعبودية ، ويخصه بالحاكمية .(٢)

فالثقافة الإسلامية تستمد كيانها من الإسلام ، متمثلا فى كتاب الله ، وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٣) ، والدين هـو أقـوى المؤثرات فى تكوين الفرد والمجتمع ، وذلك لأنه يتغلغل فى أعماق النفس الإنسانية ، ويتحكم فى المشاعر والعواطف والوجدان ، ويؤثر تأثيراً عميقا فى تكوين الخلق، وفى دوافع السلوك ، ومن ثم فى تكوين العرف والتقاليد والعادات.(٤)

وقد ظهر أثر الإسلام القوى فى تكوين الثقافة الإسلامية ؛ لأنه دين كامل الجوانب ، شامل لجميع نواحى الحياة ، فالدين الإسلامى ينظم حياة الفرد مع خالقه بفرض العبادات من صلاة وصيام وحج وتقرير عقيدة التوحيد، التى تجعل الفرد لا يتوجه فى أعماله إلا إلى الله ، ثم إن الإسلام قد

---

(١) د . على أحمد مدكور : الثقافة والحضارة فى التصور الإسلامى ، مجلة الدارة ، س : ١٤ ، ع : ٤ ، ص ٨٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٣) د . نادية شريف العمرى : أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص ١٧ ، ط : مؤسسة الرسالة ، سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م .

(٤) د . يعقوب المليجى : المدخل للثقافة الإسلامية ، ص ٤٦ ، ط : مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ، سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

نظم روابط الفرد بغيره ، فوضع له أحكام رابطة الزوجية ، وحدد حقوق كل من الزوجين وواجباته قِبَلَ الآخر ، وكذلك الحقوق والواجبات المتبادلة بين الآباء والأبناء ، ونصيب كل وارث ، وأخيرا وضع الأسس التى تقوم عليها علاقة أفراد المجتمع بعضهم ببعض ، وما لكل من الفرد والمجتمع من حقوق وواجبات متبادلة ، وجاء كل ذلك فى الثقافة واضحا بارزا ، فقيم المجتمع الإسلامى وأفكاره وتقاليده تنبع من تلك الأحكام الإسلامية .(١)

الثقافة الإسلامية والحضارة :

تقوم الثقافة فى التصور الإسلامى على قاعدة أساس ، هى : إفراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالعبودية ، ومن ثم إفراده بالحاكمية ، وإفراد الله بالعبودية يتمثل فى اتخاذ الله وحده إلها ، وإفراده ـ سبحانه بالحاكمية يعنى : تحكيم شريعة الله فى كل مجالات الحياة .

وانطلاقا من هذه القاعدة : فإن الثقافة الإسلامية فى التصور الإسلامى ذات شقين :

الشق الأول : الشق المعيارى ، ويتمثل فى شريعة الله ، أى : كتاب الله، وسنة رسول الله ـ ﷺ .

الشق الثانى : الشق التطبيقى ، ويتمثل فى التطبيق العملى الواقعى الصحيح للشق المعيارى .

وعندما يكون الجانب التطبيقى فى الثقافة الإسلامية ترجمة عملية وواقعية صحيحة للجانب المعيارى فيها ، مع استخدام كل معطيات الإنسان

---

(١) راجع المصدر السابق ، ص ٤٦ .

والزمان والمكان ، تكون الحضارة .(١)

إذن فالحضارة هي : عمارة الأرض ، وترقية الحياة على ظهرها : إنسانيا ، وخلقيا ،وعلميا، وأدبيا ، وفنيا ، واجتماعيا ، وفق منهج الله وشريعته ، وبناء على هذا المفهوم فإن المجتمع الإسلامى ــ وهو المجتمع الذى يطبق شريعة الله فى كل جوانب الحياة ــ هو وحده المجتمع المتحضر .

ومن أبرز سمات الحضارة فى التصور الإسلامى ، هى كما يقول الأستاذ محمد أسد : «ذاتية الحضارة الإسلامية » فالحضارة الإسلامية ليست ثمرة تقاليد متوارثة ، ولا نتيجة تطورات وتيارات فكرية آتية من الماضى ، وإنما هى انبعاث ذاتى مباشر من القرآن الكريم ، ومن سنة الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ ومن تطبيقها تطبيقا عمليا صحيحا فى واقع الحياة .(٢)

والخلاصة : أن الثقافة والحضارة فى التصور الإسلامى مرتبطتان ارتباطا عضويا ، فعندما يكون الجانب العملى للثقافة تطبيقا واقعيا وعمليا صحيحا للجانب المعيارى فيها ، مع استخدام كل معطيات الإنسان تكون الحضارة

صلة الثقافة الإسلامية بالمجتمع :

تنطلق صياغة المنهج الإسلامى للمجتمع من حيث المبادىء والغايات والروابط والأخلاق ، والمثل والتشريعات من حقيقتين أصليتين راسختين ، تنبثق عنهما ، وتتحرك بهما ، وتتأثر بإيحائهما ، وتستنير بهديهما كل المسائل

---

(١) د . على أحمد مدكور : الثقافة والحضارة فى التصور الإسلامى ، مجلة الدارة ، س : ١٤ ، ع : ٤ ، ص ٩٣ .

(٢) راجع المصدر السابق ، مجلة الدارة ، س : ١٤ ، ع : ٤ ، ص ٩٣ .

والقضايا المتصلة بالمجتمع على أى مستوى كان ، وفى أى زمان ومكان .. وهاتان الحقيقتان هما :

ـ وحدة الأصل الإنسانى ، فالبشر جميعا ينتسبون إلى أب واحد ، وأم واحدة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (٢) .

وإذا كان الناس قد خلقوا ـ كما يقرر منهج الإسلام ـ من نفس واحدة ، فإن الوحدة الإنسانية فيما بينهم متحققة أتم تحقق فى خصائصهم الإنسانية التى أودعها الله فيهم ، فهم لا يختلفون من حيث أصل النشأة ، فقد خلقهم الله من التراب ، فاتحدت بذلك طبيعتهم ، ومن شأن وحدة الطبيعة فيهم أن توجه طاقاتهم لما يحقق النفع والخير لهم .

ـ وحدة العقيدة ، ومحور هذه الحقيقة هو : تلك الصلة التى تجعل البشر جميعا عبادا لله ـ عز وجل ـ وعقيدة التوحيد هذه تؤكد أن رسل الله ـ عز وجل ـ قد جاءوا جميعا بذلك الدين الواحد ، وهو : الإسلام (٣) .

وتبعا لهذه الحقيقة الكلية يؤمن المسلمون بالرسل جميعا ، ولا يفرقون بينهم ، ولا يكرهون دياناتهم ، ولا أتباع هذه الديانات ، وكل ما يطلبونه منهم

---

(١) سورة النساء ، آية رقم ١ .

(٢) سورة الحجرات ، آية رقم ١٣ .

(٣) أ . عمر عودة الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

أن يؤمنوا هم كذلك بما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مصدقا لما بين أيديهم .[1]

ولا يخفى أن الثقافة الإسلامية ترتبط بالمجتمع المسلم ارتباطا وثيقا ؛ وبما أن الثقافة الإسلامية تنطلق من الإسلام ، فإن الإسلام جاء للمجتمع المسلم ، والمجتمع المسلم لابد وأن يكون مثقفا بالثقافة الإسلامية ، ليصل إلى طريق الصلاح .

صلة الثقافة الإسلامية بالفكر :

بداية يجدر بنا أن نتعرف على مفهوم الفكر الإسلامى . ومصطلح الفكر الإسلامى مصطلح حديث ، يعنى كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله ـ ﷺ ـ إلى اليوم من المعارف الكونية العامة المتصلة بالله ـ سبحانه وتعالى ـ والعالم الإنسانى ، والذى يعبر عن اجتهادات العقل الإنسانى لتفسير تلك المعارف العامة ، فى إطار المبادىء الإسلامية ، عقيدة وشريعة وسلوكا .

وكل فكر بشرى نتج عن فكر مستقل ، ولم ينطلق من مفاهيم الإسلام الثابتة القاطعة فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ، لا يمكن وصفه بأنه فكر إسلامى .[2]

وبما أن الثقافة الإسلامية تنطلق من الإسلام كتابا وسنة ، فإن لهذه الثقافة ارتباطا بالفكر الإسلامى ؛ إذ الثقافة والفكر مصدرهما واحد ، أو بتعبير آخر : المنبع واحد .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٠ .

(٢) د . محسن عبد الحميد : تجديد الفكر الإسلامى ، ص ١٨ ، ط : دار الصحوة للنشر ، بمصر ، سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

وإذا كانت الثقافة الإسلامية ، هى : إبراز للشخصية الإسلامية فإن التفكير أهم مظهر من مظاهر وجود الإنسان .

صلة الثقافة الإسلامية بالنظم :

من المعروف والمؤكد : أن التجمع الإنسانى ظهر نتيجة لتفاعل الإنسان مع بيئته ، وبنى نوعه ، واستجابة لعوامل طبيعية ونفسية ، وظروف تتصل بالحياة ، ولابد أن تكون لهذا المجتمع ـ أوالتجمع ـ وظيفة أساس ، وهى : أن يساعد على البقاء والاستمرار ، وتحقيق الوضع الأفضل له ، وللأفراد المنتمين إليه ، وللتجمعات الإنسانية الأخرى ، التى تكونت نتيجة دوافع وظروف مماثلة.(١)

ويذكر بعض العلماء : أن المجتمع عبارة عن مجموعات من الناس تسير وفق نظم واصطلاحات واحدة ، فعندما تنشأ بين الناس قواعد مشتركة ، ويتبعون طرائق واحدة وتوجد بينهم وحدة فى التفكير والعمل ، فإنهم يكونون مجتمعاً.(٢)

ولابد لأى حضارة إنسانية أن تتجه إلى وضع عدد لا حصر له من نماذج التصرف التى تتميز بأنها جمعية ومقننة ، ومعترف بها ، تتحقق عن طريقها الدوافع الإنسانية الأساس بطريقة معترف بها ، ويوافق عليها المجتمع ، هذه النماذج المقننة هى ما اصطلح على تسميته بالنظم الاجتماعية .(٣)

---

(١) أ . عمر عودة الخطيب ، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية ، ص: ٢٢ ، ط : مؤسسة الرسالة ، سنة : ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م ، بيروت .

(٢) د . ماهر كامل ، وعبد الله أمين صالح : ثقافة أساسية ، ص ٤ ، ط : بيروت ، سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م .

(٣) د . عبد الحميد لطفى : علم الاجتماع ، ص ٥٨ ، ط : القاهرة .

وبما أن الإسلام دين للواقع ، ودين للحياة ، ودين للحركة ، ودين للعمل ، ودين للإنتاج والنماء ، فقد جاء بالنظم التى تواكب فطرة الإنسان،وتأخذ بالمجتمع إلى مراقي السعادة .

والحديث عن النظام ومدى اهتمام الإسلام به ، كدعامة أساس ترتكز عليها الحياة الصالحة لبني البشر ، حديث تتشعب مسالكه ، وتتعدد اتجاهاته ، ويمكن القول في إيجاز بأن الإسلام شريعة الله في الأرض ، ودينه الذى ارتضاه لعباده قد تكفلت أحكامه وشرائعه بنظم الحياة الإنسانية على اختلاف أنماطها ، وتعدد مناحيها .[1]

ويعد الدين الإسلامي المصدر الوحيد للنظم الإسلامية ، منه تنهل أحكامها وقوانينها ، وكذلك الثقافة الإسلامية مصدرها الدين الإسلامي.[2] ؛ ولذا كانت نظم الإسلام النظم السياسية ، والنظم الإدارية ، والنظم الحربية ، والنظم القضائية ، والنظم الأسرية والنظم التعليمية ، وغير ذلك كثير مما يتصل بالإسلام ودعوة المسلمين . كل ذلك له صلة وثيقة بالثقافة الإسلامية . فالنظم الإسلامية تعد من موضوعات الثقافة الإسلامية ، التي يجدر بالمسلم أن يعرفها؛ وبخاصة العالم المتخصص .

صلة الثقافة الإسلامية بالقيم :

الإنسان هو محور الحضارة وأساسها ، وتحديد وضعه في أى دين وفلسفة ، هو منطلق الحضارة .

---

(١) أ . عمر عودة الخطيب ، المسألة الاجتماعية ، ص ٢٥ ، بتصرف .

(٢) د . حسن عبد الحميد عويضة : النظم الإسلامية و الحياة المعاصرة ، ص ١٢ .

فلا تقوم حضارة على إنسان مهين ، أو وضيع ، أو مضيع ، أو سلبى . والإنسان فى رسالة الإسلام ليس مادة صمّاء يسير آليا وفق قوانينها الجامدة ، وليس حيوانا تحكمه الغريزة العمياء فحسب ، كما أنه من ناحية أخرى ليس ملَكاً معصوما ، يستجيب ويتأثر ، وينفعل دون إيجابية وتأثير وفعل .(١)

وإذ تقرر كرامة الإنسان على أساس العقيدة فى رسالة الإسلام ، فإن حقوق الإنسان وحرياته فى تعامله مع الإنسان الآخر ، ومع المجتمع والدولة تصبح مرتبطة بالعقيدة ، مترتبة عليها .(٢)

ولا يخفى أن ارتباط الحرية والعدالة والمساواة ـ وهى قيم إسلامية ـ فى تعاليم الإسلام بعقيدة الإيمان بالله ، يقيم التوازن بين الحق والواجب ، وبين حق الفرد وحق الجماعة ، إذ يتقرر ذلك بميزان العدالة الإلهية ، الذى لا يحيف . فيتوقى المجتمع شطط الفردية والأنانية والانتهازية والنفعية من جانب ، كما يتوقى أن يكون الفرد مجرد واحد من قطيع ، أو ترسا فى آلة من الجانب الآخر ؛ بل يصل الإيمان فى تعميق الشعور بالحرية والمساواة إلى ما لا يصل إليه نظام قانونى .(٣)

والثقافة الإسلامية لابد وأن تتعرف على القيم ، وعندما يرتفع المثقف المسلم يرتفع بالقيم التى دعا إليها الإسلام .. فالصلة بين الثقافة الإسلامية والقيم صلة قائمة على أن المصدر واحد ، وهو : الإسلام ، الذى جاء إلى الإنسانية ليزودها بالمعارف والقيم .

---

(١) د . محمد فتحى عثمان : القيم الحضارية فى رسالة الإسلام ، ص ٥٤ ، ط : الدار السعودية ، سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦١ .

صلة الثقافة الإسلامية بالمذهبية :

من المعروف أن الإسلام دين الإخاء ، ودعوة إلى الأخوة الصادقة ، وليس بين المسلمين ما يفرق بينهم من مذهبية بغيضة ، والمذاهب فى الفقه الإسلامى ليست كالمذاهب عند غير المسلمين ؛ فالمذاهب عند غير المسلمين مذاهب عقدية .. أمّا المذاهب فى الفكر الإسلامى فهى تحرص على جمع كلمة المسلمين ، وما كانت إلا نتيجة لاجتهادات الفقهاء ، وكثرة الأتباع للفقيه .

ولاشك أن الثقافة الإسلامية تعنى بالمذاهب الفقهية ، والمسلم المثقف يكون حريصاً على التعرف على هذه المذاهب وأتباعها ورجالها ، فإن هذه المعرفة تساعد على العطاء الثقافى .

صلة الثقافة بالعلوم الإسلامية الأخرى :

إذا كانت الثقافة الإسلامية تتصل بالمجتمع ، والنظم ، والقيم ، والدين، والحضارة ، والفكر ، والمذهبية ، فإن هذه الثقافة أكثر اتصالا بعلم الفلك ، وعلم الرياضة ، وعلم الكيمياء ، وعلم الطب ، وعلم الجراحة ، وعلم الفلاحة ، وعلوم الصناعة ، وغير ذلك من علوم دعا إليها الإسلام ، وحث على تعلمها ، ومن المعروف : أن المعرفة فى الإسلام أساس رقى المجتمعات ، وتقدم الإنسانية . والعلم يصل إلى المعرفة عن طريق الثقافة ، والبحث العلمى والاستقراء.

والعقل البشرى استطاع بما اكتسب من خبرة ، ودربة ومران ، أن يصنف المعارف الإنسانية ، وأن يحكم ما بينها من وشائج ، وأن يستفيد بما

بينها من صلات و روابط .

والنتائج العلمية متصل بعضها ببعض ، ويعتمد بعضها على بعض . والحضارات الإنسانية ليست ملكا لأمة بعينها ، ولا هي وقف على جماعة من الناس ؛ لأنها صرح هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب .

والحضارات الإنسانية قد تتشابه في مظاهرها ، وفي عناصرها ، وفي أسلوبها ؛ و لاسيما إذا تعايشت في جهات متقاربة .

والحضارات الإنسانية سلسلة محكمة ، متينة الحلقات ، يؤثر سابقها في لاحقها ، ويتأثر حاضرها بماضيها .(١)

وإيمانا من المسلمين بفوائد العلم ، ونتائج المعرفة . وإيمانا من المسلمين بأن المعرفة حلقات متصل بعضها ببعض ، ومؤثر بعضها في بعض، وانطلاقا من مفهوم (اقرأ) ، و التي كانت أول كلمة يسمعها الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ من وحي السماء إيمانا و انطلاقا ، عكف المسلمون على ثمرات العقول يأخذون منها، و يزيدون عليها . وعني المسلمون بالرياضيات والطبيعيات ، والكيمياء ، وغير ذلك من علوم لها صلة بالثقافة الإسلامية .(٢)

فالثقافة الإسلامية لها صلة بكل العلوم التي تنطلق بالمسلمين إلى آفاق الحياة والتقدم .

* * *

---

١ ـ انظر الدكتور أحمد السايح ؛ أضواء على الحضارة الإسلامية ص ٩٢ ط : دار اللواء بالرياض ١٤٠١ هـ .

٢ ـ المصدر السابق ، ص ٩٢

أسس الثقافة الإسلامية

١ ـ العقيدة :

العقيدة مأخوذة من العقد ، والعقد هو : الجمع بين أطراف الشيء ، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة ، كعقد الحبل ، وعقد البناء .[١]

وتوسع في العقد فاستعمل في المعاني ، كعقد البيع ، وعقد النكاح ، كأنه ربط بين أجزاء ، ويقال : عاقدته ، وعقدته ، وتعاقدنا ، وعقدت يمينه[٢]

والعقيدة تعني : الارتباط بين القلب البشري ، وفكرة ، أو رأى ، أو منهج معين ، وأن هذا الارتباط يتميز بالوثاقة ، والقوة ، والإحكام ، كما يتسم بالثبات ، والاستمرار ، والاستقرار .[٣]

والعقيدة هي : مجموعة من قضايا الحق ، المُسلّم بها بالسمع والعقل والفطرة ، يعقد عليها الإنسان قلبه ، ويثني عليها صدره ، جازما بصحتها ، قاطعا بوجودها وثبوتها .[٤]

---

(١) الفيومي : المصباح المنير ، مادة (عقد) .

د . منصور رجب : نظام الإسلام ، ص ٤٦ ، ط : القاهرة ، سنة ١٩٦١ م .

(٢) د . منصور رجب : نظام الإسلام ، ص ٤٧ .

(٣) د . السيد رزق الطويل : العقيدة في الإسلام منهج حياة ، ص ١٥ ، ١٦ ، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

(٤) د . آمنة محمد نصير : مباحث في علوم العقيدة ، ص ١٠ ، ط : مكتبة الكليات الأزهرية ، سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

و يذكر العقاد : « أننا نعنى بالعقيدة الدينية : طريقة حياة ، لا طريقة فكر ، ولا طريقة دراسة ، إنما نعنى بها : حاجة النفس ، كما يحس بها من أحاط بتلك الدراسات ، و من فرغ من العلم والمراجعة ، ليترقب مكان العقيدة من قرارة ضميره ، إننا نعنى بها ما يملأ النفس ، لا ما يملأ الرؤوس ، أو يملأ الصفحات ».[1] إن العقيدة التى يصح أن توصف بالعقيدة الدينية ، هى التى لا يستغنى عنها من وجدها ، ولا يطيق الفراغ منها من فقدها ، ولا يرفضها من اعتصم منها بمعتصم ، و استقر فيها على قرار .[2]

وإذا كان القرآن الكريم لم يذكر كلمة عقيدة ، وذكر مادتها اللغوية ، فإن القرآن الكريم ذكر حقائق أساس كبرى ، هى فى مجموعها موضوع ما يسمى بالعقيدة أو العقائد . و فى مجال العقيدة أو العقائد جاء القرآن الكريم بكلمة « **الإيمان** » ، وللقرآن الكريم طريقته الخاصة فى عرض الحقائق ، وهى طريقة ـ فى آن واحد ـ للخاصة من الناس ، والعامة منهم .[3]

ثم إنه إذا كانت كلمة العقيدة تعنى الربط و التوثيق ، فإن كلمة الإيمان : تعنى الربط والتوثيق مضافا إليها ما يطمئن إليه القلب ، ويقتنع به اقتناعا ذاتيا ونفسيا .

---

(١) العقاد : العقائد و المذاهب ، ج ١١ ، ص ٤٠٢ ، ط : دار الكتاب اللبنانى ، بيروت.

(٢) السابق ، ص ٤٣١ .

(٣) محمد المبارك : العقيدة فى القرآن الكريم ، ص ٩ ، ط : دار الفكر ، بيروت .

وهذه الحقائق الأساس عرضها القرآن على الناس ، وأيدها بالأدلة والشواهد ، ودعا إلى تصديقها ، والإيمان بها ، وكرر ذلك بأساليب شتى، وطرق متعددة ، وهى التى تؤلف جو القرآن العام ، والأساس الذى تتفرع منه قواعده الخلقية ، وأحكامه التشريعية ، لا تنفصل عنه أبدا ، وهى القاعدة الفكرية التى أراد الله أن يقيم عليها بناء الإنسان وتكوينه .(١)

ولقد دعا القرآن ـ بإلحاح ـ إلي الإيمان بهذه الحقائق الكبرى : دعا إلى الإيمان بالله ، خالق الكون ، و بالحياة الآخرة التى تتجلى فيها مسئولية الإنسان ، ويتحدد مصيره الأبدى ، وبالنبوة و الوحي طريقا إلى معرفة الحقائق التى يريد الله أن يلقيها إلى الإنسان ؛ سواء أكان موضوعها عالم الغيب ، أم حقائق ما وراء المادة ، أم كان توجيه الإنسان ، وتنظيم شئونه فى هذه الحياة.(٢)

و مما لا يخفى على الإنسان أن هناك نوعا آخر من الحقائق اشتمل عليها القرآن الكريم ، و وردت فيه على أنها طريق إلى الحقائق الأساس ـ من الإيمان بالله ، وبالحياة الآخرة ، والنبوة ، والوحى ـ ووسيلة للوصول إليها، ولكنها تتكرر فى سور القرآن ، فى صور وأشكال شتى مرافقة للحقائق الأساس، لتأييدها ودعمها ، ويشتمل هذا النوع على مشاهد الكون فى القرآن الكريم ، بآفاقه الواسعة ، وأنواع مخلوقاته المختلفة ، وحوادثه المتبدلة ، و سننه

---

(١) المصدر السابق ص ٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩ .

المطهرة ، ويشتمل ـ بوجه خاص ـ على حياة الإنسان في خلقه ، وتكوينه ، وميوله ، وغرائزه في أجياله المتعاقبة . و من عرف الحقائق الأساس الكبرى ، والحقائق الأخرى التي جاءت شواهد على الحقائق الأساس ، استطاع أن يخرج بفكرة شاملة عن :

ـ نظرة الإسلام إلى الوجود : وجود الخالق ، و وجود العالم المخلوق : الكون والإنسان .

ـ نظرة الإسلام إلى الصلة بين الله والكون ، وبين الله والإنسان ، وبين الكون و الإنسان .

و يتكون من مجموع ذلك عقيدة كاملة ، ونظرة شاملة . وهذه العقيدة لا تتطلب تجربة كبيرة للإيمان ، ولا تثير في العادة مصاعب عقلية خاصة .[1]

والإيمان (**العقيدة**) : ما استقر في النفس ، أو ملك على الإنسان قلبه و عقله و أحاسيسه و مشاعره و وجدانه ، فإذا فكر فضمن نطاق الإيمان، و إذا تكلم فبوحي الإيمان ، وإذا عمل فمن أجل الإيمان .

و من المعلوم أن كل حضارة إنسانية ، و كل مجتمع إنساني ـ أيا كان هذا المجتمع أو تلك الحضارة ـ لابد لها من عقيدة تؤمن بها ، وتبنى عليها أوجه حياتها كلها ، سواء أكانت هذه العقيدة دينية أم فلسفية فكرية وضعية أم

---

(١) توماس آرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٤٥٤ .

علمانية ، فإن لها خصائص عامة و أهدافا تحققها للمجتمع .[1] و من هذه الأهداف أو الخصائص ما يأتي :

١ـ بناء المجتمع من جماعات و أشتات متناثرة ، ومن عدة قبائل متفرقة كالمجتمع المسلم ، حينما جمعت أشتاته العقيدة الإسلامية ، وغيره من المجتمعات الأخرى .[2]

٢ ـ تحقيق القوة والتماسك للمجتمع عن طريق إيمانه بعقيدة واحدة.[3]

٣ ـ الإبداع والإنتاج حينما تتحقق الوحدة والقوة للمجتمع ، فكل هذه العناصر تشكل دفعة كبرى للمجتمع ، فيكون هناك مجال للإبداع فى شتى أمور الحياة .[4]

و المنهج الإسلامى فى بناء العقيدة يقوم على :

١ـ هدم جميع العقائد الفاسدة (لا إله) .

٢ ـ بناء العقائد الصحيحة (إلا الله) .[5]

٣ ـ التدرج فى بناء العقيدة : فحينما بعث رسول الله ـ ﷺ ـ معاذ

---

(١) د . منصور رجب : نظام الإسلام ، ص ٥١ .

(٢) د . آمنة محمد نصير : مباحث فى علوم العقيدة ، ص ١٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٤) العقاد : العقائد و المذاهب ، ج ١١ ، ص ٤٠٥ .

(٥) المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

ابن جبل إلى اليمن .[1] قال له : « إنك تأتي قوما من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه : شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، و اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

٤ ــ استخدام الوسائل المناسبة لتحقيق الإيمان بالله ــ سبحانه وتعالى ــ ومن ذلك : ابتلاء الله وامتحانه للمسلمين في معركة أحد ، وما حصل لهم من هزيمة لعدم التزامهم بأوامر الرسول .[2]

وقد يكون من الوسائل ما هو :

ــ عملي : كالتربية بالقدوة ، ومنها ما هو :

ــ عقلي : كالحوار للوصول إلى الحقيقة . ومنها ما هو :

ــ وجداني : كالتربية بالترغيب والترهيب .[3]

٢ ــ الشريعة

و الشريعة في اللغة تطلق على معنيين :

الأول : مورد الماء للاستسقاء

---

(١) د . السيد رزق الطويل : العقيدة في الإسلام منهج حياة ، ص ٢١ .

(٢) د . آمنة محمد نصير : مباحث في علوم العقيدة ، ص ٥١ .

(٣) د . علي أحمد مدكور : الثقافة و الحضارة في التصور الإسلامي ، بحث في (مجلة الدارة) العدد الرابع ، السنة : الرابعة عشرة ، ص ٩٧ .

الثاني : الطريق المستقيمة .[1]

الشريعة اصطلاحا :

١ ـ الشريعة : كل ما شرعه الله ـ سبحانه و تعالى ـ للمسلمين من دين ؛ سواء أكان بالقرآن الكريم نفسه ، أم بسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولهذا تشمل : أصول الدين ، أى : ما يتعلق بالله و صفاته ، والدار الآخرة ، وغير ذلك من بحوث علم التوحيد أوغيره . كما تشمل : ما يرجع إلى تهذيب المرء نفسه و أهله ، وما يجب أن تكون عليه العلاقات الاجتماعية، وما هو المثل الأعلى الذى يجب أن يعمل لبلوغه ، أو مقاربته ، وما هى الطريق التى يصل بها إلى هذا المثل ، أو الغاية من الحياة ، وذلك كله هو : ما يعرف باسم (علم الأخلاق.) ، ومع هذا أو ذاك تشمل الشريعة : أحكام الله لكل أعمالنا من : حل و حرمة ، وندب وإباحة ، وكان من هذه الشريعة الغراء ما نسميه بالفقه ، أو التشريع الإسلامى .[2]

٢ ـ والشريعة هى : ما شرعه الله ـ سبحانه ـ لعباده فى العقائد ، والعبادات ، و الأخلاق ، و المعاملات ، ونظم الحياة فى جميع حقولها ؛ لتحقيق سعادتهم فى الدنيا والآخرة . فشريعة الله ـ سبحانه ـ هى : المنهج المستقيم الذى يصون الإنسانية من الزيغ والانحراف ، ويجنبها مزالق الشر ،

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (شرع) .

(٢) أ. مناع خليل القطان : وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية و الشبهات التى تثار حولها ، ص١٨٧ ، ١٨٨ ، ط : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.

د . محمد يوسف موسى : الإسلام و حاجة الإنسانية إليه ص ١٥٥، ١٥٦ ، ط : الرابعة ، مكتبة الفلاح ، بالكويت ، سنة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

ونوازع الهوى . وهى تنظيم لحياة البشر أنزلها الله ـ عز وجل ـ على نبينا محمد ـ ﷺ ـ يحدد فيها : علاقة الإنسان بربه ، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة الإنسان بغيره من الناس ، فهى طراز خاص للحياة والعيش ، متميزة عن غيرها من النظم الوضعية التى يضعها الناس كل التمييز .[١]

نشأة التشريع الإسلامى و تطوره :

١ ـ هذه الشريعة أو التشريع ـ كما نعرفه اليوم ـ لم ينشأ مرة واحدة كاملا ؛ بل تدرج فى مراحل مختلفة حتى بلغ ما قدر له من نضج وكمال، شأنه فى هذه الظاهرة شأن كل كائن وجد ، وعرف نور الحياة .[٢]

٢ ـ على أن الرسول ـ ﷺ ـ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى حتى كانت الشريعة قد استكملت أصولها التى قام عليها ،واستوت فيما بعد ؛ إذ انقضى بوفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عهد وضع الشريعة فى أسسها وأصولها ، فلم يبق للعلماء والفقهاء بعده إلا الرجوع إلى ما تم فى حياته ، واستلهام ما أوحى الله ـ عزوجل ـ إليه من كتاب وسنة ، ثم التفريع والتطبيق حسب الظروف والزمان والمكان والمصالح العامة.[٣]

٣ ـ بدأ التشريع ينشأ و يتكون ، وعماده القرآن الكريم ، ثم السنة

---

(١) د . عز الدين التميمى : نظرات إلى الثقافة الإسلامية ، ص ١٠٠ .

(٢) أ . محمد المبارك : الإسلام و الفكر العلمى ، ص ١٥ ، ١٦ ، ط : دار الفكر ، بيروت ، ط : الأولى ، سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٩ م .

د . محمد يوسف موسى ، الإسلام و حاجة الإنسانية إليه ، ص : ١٥٦ ـ ١٥٧ .

(٣) أ . محمد المبارك : نظام الإسلام ، العقيدة و العبادة ، ص ٢٩ .

المطهرة على اختلاف ضروبها : قولية أو فعلية أو تقريرية ، ولم تستمر هذه الفترة إلا سنوات قليلة ، هى : اثنتان وعشرون سنة وأشهر ، وفيها نزل القرآن الكريم ، وتم نزوله [1] . بقوله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [2] .

٤ ـ وكان من الحكمة ، ومما يتفق وطبائع الأمور : أن هذه الشريعة أو التشريعات لم تنشأ مرة واحدة ؛ بل كان ذلك على التدريج حسب الحاجة التى تدعو إليها ، وفى هذا دفع للحرج والمشقة عن المسلمين ، وأخذهم بالتيسير فى التكاليف والأحكام [3] .

مصادر التشريع الإسلامى :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ السنة المطهرة .

٣ ـ الإجماع .

٤ ـ القياس [4] .

---

(١) محمد يوسف موسى : الإسلام و حاجة الإنسانية إليه ، ص ١٦١ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٣ .

و الصحيح و الراجح : أن هذه الآية ليست آخر آية نزلت من القرآن الكريم ؛ إذ أن آخر ما نزل من القرآن الكريم قوله : ﴿ و اتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت و هم لا يظلمون ﴾ . سورة البقرة ، آية : ٢٨١ .

(٣) د . يوسف القرضاوى : خصائص التشريع الإسلامى ، ص ١٩ .

(٤) محمود شلتوت : الإسلام عقيدة و شريعة ، ص ٧٣ ، ٨٤ .

بناء الفرد و المجتمع :

إن الثقافة الإسلامية عملت على بناء الفرد والمجتمع لتمضى الأمة فى قوة وتماسك ، وقد واءمت الثقافة الإسلامية بين الفرد والمجتمع ، مما دعا إلى تعاون بناء معطاء .

أولا : بناء الفرد :

والمتأمل فى الثقافة الإسلامية يجدها أنها عنيت بالفرد المسلم في جميع أطوار حياته ، فقد عنيت بالفرد قبل ولادته ، ولذا نجد الإسلام اهتم بتوجيه الإنسان إلى أن يتخير الزوجة الصالحة لما لها من أثر فى تربية الأولاد ، واستقرار الأسرة وإسعادها .

كما اهتم الإسلام بالفرد بعد ولادته ، فأمر برعايته ماديا ومعنويا لينمو نموا حسناء ويربى تربية حسنة ، وحدد واجب كل من الأب و الأم والأقارب نحوه ، فعلى الأب الإنفاق وعلى الأم الرضاعة .

ومن مظاهر اهتمام الإسلام ببناء الفرد أنه جعل حضانة الأطفال فى سنيهم الأولى إلى أمهم ما دامت أهلا لذلك ، لأنهم فى هذا السن محتاجون إلى الحنان ونوع من الرعاية لايحسن القيام بها إلا المرأة [١] .

ومن مظاهر عناية الإسلام ببناء الفرد أنه أمر بتسمية الفرد بالأسماء الحسنة ، وأمر بتأديبه و تعليمه و تدريبه على ما يقوى جسمه ويربيه تربية نافعة

---

(١) راجع ابن القيم: زاد المعاد ج ٤ ص:١٣٨ ط: الحلبى بمصر . وانظر ما جاء من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

فاضلة [١] .

ومن مظاهر عناية الإسلام ببناء الفرد حرص الإسلام على تهيئة البيئة الصالحة للطفل ، لما لذلك من الأثر العظيم فى تنشئته تنشئة إسلامية سليمة فاضلة ، لا انحراف معها .

ولذلك كان الصحابة يحرصون على أن يحضر أبناؤهم مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم . ليتأثروا بهذه البيئة العالية الرفيعة .

ومن مظاهر اهتمام الإسلام ببناء الفرد حرص الثقافة الإسلامية على توفير المثل الطيب للفرد و القدوة الحسنة[٢] . قال تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [٣] .

فإذا ما صار المسلم شابا فإننا نجد عناية الإسلام بالفرد تحوطه فى هذه السن الخطيرة ، وتقدم له كل ما يجب عليه أن يعلمه ويعمله من عقيدة صحيحة ، وعبادات مطهرة ومزكية ، ومعاملات مرضية ، وأخلاق كريمة ليصير لبنة قوية فى أمة تقود إلى الخير[٤] . قال تعالى :﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ

(١) محمد المدنى : المجتمع الإنسانى كما تنظمه سورة (النساء) ص:١٦٦ ،ط:المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، سنة ١٣٨٢ هـ /١٩٦٢م .

(٢) المستشار جمال الدين محمود : أصول المجتمع الإسلامى ، ص. ٢٩ ، ط:القاهرة ، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٣) سورة الأحزاب : آية :٢١ .

(٤) محمد رشيد رضا : نداء للجنس اللطيف ، ص ٢٢ ، ط الأولى باختصار

عَزْمِ ٱلْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (١) .

وحتى لا يرتمى الأفراد في أحضان الغواية ، وتتخطفهم شياطين الإغراء أمرهم بالزواج ليتحصنوا . فعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، و أحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » (٢) . و لأن الأفراد عماد المعارك وجند الأمة المسلمة أمر النبى ـ ﷺ ـ بتدريبهم تدريبا عسكريا ، وبين النبى ـ ﷺ ـ أن المطلوب من كل مؤمن أن يكون قوى الجسم و الفكر و الخلق ، فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « **المؤمن القوى خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، و فى كل خير** » (٣) .

فإذا ما انتقل الإنسان إلى مرحلة الشيخوخة وجد من عناية الإسلام الكثيرة ما يواسيه و يوجب احترامه وإعزازه وإكباره ، وتوفير جميع احتياجاته بدون عناء (٤) .

. فالفرد فى الثقافة الإسلامية هو هذا الإنسان الذى خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه ، وفضله على كثير من خلقه وسخر له ما فى السموات

---

(١) سورة لقمان ، الآيات : ١٧ ـ ١٩ .

(٢) رواه البخارى و مسلم (الترغيب و الترهيب للمنذرى) ج ٢ ص ٥ .

(٣) رواه مسلم « رياض الصالحين » ص ٦٧ .

(٤) وزارة الأوقاف المصرية ، النشرة الأسبوعية رقم (٤٥) ص ١٣ ط : القاهرة .

والأرض ، وكرمه أعظم تكريم ، وخلقه في أحسن تقويم ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة و باطنة ، وحمله الأمانة الغالية ، وأكرمه بالفطرة الطيبة ، وأعده أكمل إعداد وأوفاه .

إننا نرى من هذا أن الإسلام قد كرم الفرد الإنساني كرامة رائعة بالغة منذ تكوينه جنينا في بطن أمه ، وهي كرامة ينشرها منهج الإسلام على كل فرد من البشر ذكرا أو أنثى ، أبيض أو أسود ، ضعيفا أو قويا ، فقيرا أو غنيا ، كما يصون منهج الإسلام دم الإنسان أن يسفك ، أو عرضه أن يغتصب ، ومسكنه أن يقتحم ، ونسبه أن يبدل، و وطنه أن يخرج منه أو يزاحم عليه.(١)

ثانيا : بناء المجتمع :

تنطلق صياغة المنهج الإسلامي للمجتمع من حيث المبادىء والغايات والروابط والأخلاق والمثل والتشريعات ، من حقيقتين أصيلتين راسختين تنبثق عنهما وتتحرك بهما وتتأثر بإيحائهما ، وتستنير بهديهما كل المسائل والقضايا المتصلة بالمجتمع على أي مستوى كان ، وفي أي زمان ومكان ، بحيث لا تقوم مشكلة إلا وتجد الحل الناجع الحاسم ، ولا ينشب خلاف إلا وينتهي بالوفاق والوئام ، و تسود الطمأنينة ويعم الرخاء وينتشر السلام.(٢) وهاتان الحقيقتان هما :

ـ وحدة الأصل : فالبشر جميعا ينتسبون إلى أب واحد ، و أم واحدة .

ـ وحدة العقيدة : و محور هذه الحقيقة هو تلك الصلة التي تجعل البشر

---

(١) أ . عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ بتصرف .

(٢) أ .عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص ٢٣٥ .

جميعا عباد الله ـ عز و جل ـ وعقيدة التوحيد هذه تؤكد أن رسل الله ـ عز وجل ـ قد جاءوا جميعا بذلك الدين الواحد ، وهو الإسلام ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ (١) .

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (٢) .

ومن هذا يتبين أن المجتمع الذى يصوغه الإسلام هو المجتمع الذى يقوم على وحدة الأصل ، ووحدة العقيدة ، وما ينبثق من هذه الوحدة من المبادىء السامية والغايات النبيلة ، والأخلاق الفاضلة ، والضوابط المحكمة ، والروابط الوثيقة التى تجعلْ من هذا المجتمع الإنسانى الكبير النموذج الذى تشكل على صورته الفذة الوحدات الاجتماعية الأخرى التى يقتضى العمران البشرى قيامها، ضمن حدود مكانية وزمانية معينة .

فإذا ما قامت هذه المجتمعات على جوهر هاتين الحقيقتين لم تكن الأوضاع الخاصة و الأشكال التى تقتضيها الاعتبارات الجغرافية أو السكانية أو الاقتصادية أو غير ذلك من الاعتبارات عاملا من عوامل الفرقة والخلاف . بل دعما للحقيقتين الأصيلتين وإغناء لهما ، وتطبيقا لما تقرر أنه من المعانى الإنسانية التى يتحقق بها للبشر الخير والعدل والسلام (٣) .

ولابد أن نشير هنا إلى أن المجتمع الذى ينشئه الإسلام مجتمع فكرى خلقى يستند إلى مبدأ وغاية ، ويجمع أفراده الإيمان بهذا المبدأ فلا يتكون.هذا

---

(١) سورة آل عمران ، الآية رقم : ١٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية رقم : ٨٥ .

(٣) ا . عمر عودة الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية ص ٢٣٩ .

المجتمع على أساس النسل والسلالة أو اختلاف المستويات الاقتصادية ، وإنما يبنى على عقيدة معينة وضابط خلقى بعينه .

فأفراد البشر جميعا من سلالة واحدة ، وكل من آمن بالله ربا ومالكا، ورضى بما جاءت به الرسل من الهدى ، ودين الحق منهجا عمليا لحياته ، فقد أصبح جزءا من أجزاء هذا المجتمع وجزءا من أفراده .[1]

وهكذا فإن المجتمع الإسلامى مجتمع مفتوح لكل من يؤمن بعقيدة واحدة ثم إن المجتمع الإسلامى لا يعترف بالنظام الطبقى ؛ لأنه يقيم العلاقات بين أفراد هذا المجتمع على أساس الأخوة والتعاون والتكافل .

خصائص الثقافة الإسلامية

إن الباحث فى الثقافة الإسلامية يجد أن لها خصائص تتميز بها عن سائر الثقافات ، مما جعل هذه الثقافة سليمة الاتجاه ، سامية الأهداف ، كريمة العطاء ، وفيما يأتى نشير إلى بعض هذه الخصائص للثقافة الإسلامية :

أولا : ربانية المصدر :

فالثقافة الإسلامية تعتمد على كتاب الله الموحَى إلى رسوله ـ ﷺ ـ وهى محصورة فى هذا المصدر ، بعيدة كل البعد عن الفكر الفلسفى الإنسانى .[2] والتناقض والضلال والانحراف ، وهذا ـ ولاشك ـ يجعل الالتزام والعمل بها ينبع من داخل النفس ، وهذا أعظم مفاهيم الانضباط والسمو فى سير الحياة ، ويجعل الثقة بها مطلقة لا تتزعزع .

---

(١) د عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية ، ص ٢٨٠ .

(٢) أ . عز الدين الخطيب التميمى و آخرون: نظرات فى الثقافة الإسلامية ص : ٢١

إن هذا المصدر للثقافة الإسلامية يتسم بسمة الخلود ، والصدق ، والصحة ذلك أن الكتب السماوية الأخرى قد دخلها التحريف ، وأدخل عليها شروح وتفسيرات وتصورات وزيادات ومعلومات بشرية أُدمجت فى صلبها فبدلت طبيعتها الربانية ، وبقى الإسلام وحده محفوظ الأصل ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ وهذا هو السر الذى يعطى الثقافة الإسلامية قيمة التفردوالخلود (١) .

ومهمة الرسول ـ ﷺ ـ تبليغ هذا الأصل إلى الناس جميعا ، إذ أنه يتلقى من الله رب العباد ، وينقل ، ويبلغ ، وينفذ ، ويطبق، قال الله سبحانه :﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ (٢) .

و قال تعالى :﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ (٣) . و قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ (٤) .

---

(١) د . نادية شريف العمرى : أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص ١٩ .

(٢) سورة الشورى ، الآيتان : ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) سورة النجم الآيات ١ ـ ٤ .

(٤) سورة المائدة آية رقم ٦٧ .

هذه الثقافة الربانية تقف في وجه كل الثقافات المادية ، مبنية على أساس من الإيمان بالله ، مهتمة بغايات الأشياء ، وأصولها البعيدة ، تنظر إلى الحياة على أنها مرحلة لابد مِن اجتيازها بمنتهى الجدية والإتقان . ولا تنظر إلى الحياة على أنها الغاية الأسمى ، والمثل الأعلى ، تلك النظرة التى ينظرها الماديون فى الغرب والشرق على السواء .(٢)

هذه الآيات القرآنية تدل على أن مصدر الثقافة الإسلامية هو كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ فهو وحده مناط الثقة ، المبرأ من النقص ، المبرأ من الجهل، المبرأ من الهوى ، وهو كذلك مناط الضمان فى أنه الموافق للنظرة الإنسانية الملبى لكل جوانبها ، المحقق لكل حاجاتها .(١)

فتصور الثقافة الإسلامية للوجود بكل مقوماته وخصائصه مستمد من الله ، كما جاء بذلك القرآن الكريم ، فالله ـ سبحانه و تعالى ـ خالق الكون والإنسان ، وكل ما فى هذا الكون يسير على سنة الله التى وضعها فيه، ومسخر لصالح الإنسان ، والإنسان مستخلف من الله فى أرض الله .

وخصيصة الربانية فى الثقافة الإسلامية تفقدها الثقافات الأخرى قديمها وحديثها كالثقافة اليونانية و الهندية و الفارسية فى الماضى ، والثقافة الغربية والاشتراكية فى الحاضر ، فهى ثقافات ترتكز الواحدة منها على النظرات البشرية والفلسفات المحدودة ، ومرتبطة بقيود الزمان والمكان خاضعة لمؤثرات

---

(١) سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي و مقوماته ، ص ٤٥ ، ط دار الشروق ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م .

(٢) د . محفوظ على عزام : نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ص ٣٥ .

البيئات والظروف متأثرة بالأزمات النفسية ، والهزات الاجتماعية ، فثقافات كهذه من شأنها أن تورث القلق والشقاء للإنسان كالهندوسية التى تفرض على معتنقها إحراق الأجساد وتغريقها بالماء ، والتردى من الجبال وإهلاكها بالتقشف والصيام ، وكالنصرانية فيما نشاهد من تمسك رهبانييها من هجران الزواج والانفراد فى الصوامع ، وترك طيبات الرزق ، وإلى غير ذلك من الثقافات التى تحرم على أهلها اقتناء المال ، وتحثهم على اعتزال الناس فتسلبهم وسائل القوة ، وتعوقهم عن مكارم الأخلاق ، وكالثقافات المادية التى تجعل أهلها عبيدا لشهواتهم لا همّ لهم إلا التمتع بالجسد والمال.(١)

إن مثل هذه الثقافات ليست جديرة بالحياة ، ولا بطول البقاء ، فأحق الثقافات بطول البقاء ، ما وجدت أحوالها متوسطة بين الشدة واللين ؛ ليجد كل واحد من ذوى الطبائع المختلفة ما يصلح به حاله فى معاده ومعاشه ويستجمع له منه ما فيه خير دنياه و آخرته .

وإن أحق الثقافات بالحياة هى التى تجمع بين الحديث فى الدين ، والحديث فى السياسة ، وشئون الملك والدولة ، أى : بين القوة الروحية والقوة السياسية والمادية ، وهذا ما تختص به الثقافة الإسلامية ، فهذه الثقافة تتجه إلى احترام الإنسان ، ومعاملة الناس على أساس من الحق والعدل والإحسان .(٢)

ثانيا : إيجابية الهدف :

من خصائص الثقافة الإسلامية أنها ثقافة إيجابية فى أهدافها ، وهى تجعل الإنسان المثقف يعيش فى حركة فكرية ونفسية وجسدية بناءة بعيدا عن

---

(١) عز الدين الخطيب التميمى و آخرون : نظرات فى الثقافة الإسلامية ص ٢٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

السلوك التخريبي الهدام ، رافضا التحجر و الجمود ، لا يرضى بالسلوك الانسحابي ، الذى يتهرب من نشاطات الحياة ، ويبتعد عن مواجهة الصعاب لأن الثقافة الإسلامية تبنى فى الإنسان السليم الروح الإيجابية التى تؤهله للعطاء، وتنمي فيه القدرة على الإنتاج والإبداع ، بما تفتح له من آفاق التفكير والممارسة، وبما تزوده به من بناء ذاتي ودافع حركي ، ليعد الإنسان المسلم إعدادا إنسانيا ناضجا ، لممارسة الحياة بالطريقة التى يرسمها الإسلام ، ويخطط أبعادها الإسلام ؛ لأن الحياة فى نظر الإسلام عمل وبناء ، وعطاء، وتنافس فى الخيرات ، قال تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ (١) .

فقد دأب الإسلام على جعل الحياة كلها مجالا مباحا للإنسان يمارس فيه نشاطه ويستثمر فيها طاقته وجهوده ـ عدا ما حرم عليه من أشياء ضارة، أو ممارسات هدامة ـ فالمسلم أينما توجه يجد المجال الرحب ، والمتسع الذى يستوعب كل جهوده، وطاقاته ، ونشاطه ، دون أن يجد الزواجرالسلبية أو يواجه النواهى التى تقتل قابلياته وطاقاته أوتشل وعيه وإرادته ، وبذا يبقى طاقة حية ، وقوة بناءة تساهم فى تجسيد مضامين الخير وتشارك فى العطاء والعمل (٢) .

يقول على ـ رضى الله عنه ـ فى إيجابية الثقافة الإسلامية : « **فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى دين ، وحزما فى لين ، وإيمانا فى يقين، وحرصا فى علم ، وعلما فى حلم ، وقصدا فى غنى ، وخشوعا فى عبادة ، وتجملا فى فاقة ، وصبرا فى شدة ، وطلبا فى حلال ،**

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١٤٨ .

(٢) مفاهيم إسلامية : الشخصية الإسلامية ، ص ٣٤ ، ط دار التوحيد بإيران ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م.

ونشاطا فى هـدى ، وتحرجـا عند طمـع ، يعمـل الأعمـال الصالحة ، وهو على وجل ، يمسى وهمـه الشكر ، ويصبـح وهمـه الذكـر ، يبيت حذرا ، ويصبح فرحا .. حذرا لما حذر من الغفلة ، وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة ، إن استصعب عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤالها فيما تحب ، قرة عينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقى ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل ، تراه قريبا أمله ، قليلا زلله، خاشعا قلبه ، قانعا نفسـه ، منزورا أكله ، سهلا أمره ، حريزا دينه، ميتة شهوته ، مكظوما غيظه ، الخير منه مأمول ، والشر منه غير مأمول، إن كان فى الغـافلين كـتب فى الذاكـرين ، وإن كـان فى الذاكـرين لم يكتب من الغافلين ، يعفو عمن ظلمه ، ويعطى من حرمه، ويصل من قطعه ، بعيدا فحشه ، لينا قوله ، غائبا منكره ، حاضرا معروفه ، مقبلا خيره ، مدبرا شـره ، فى الزلازل وقـور ، وفى المكارم صبـور ، وفى الرخاء شكور ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيـمن يحب . يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ، لا يضيـع مـا استـحفظ ، ولاينسى مـا ذكـر ، ولا ينابز بالألقاب، ولايضار بالجار ، ولا يشمت بالمصائب ، ولا يدخل فى الباطل ولايخرج من الحق ، إن صمت لم يغمه صمته ، وإن ضحك لم يعل صوته ، وإن بغى عليه صبر ، حتى يكون الله هو الذى ينتقم له . نفسه منه فى عناء ، و الناس منه فى راحة، أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسـه ، بعده عـمن تباعـد عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة . ليس تباعده بكبر وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخديعة » .[1]

---

(١) انظرلجنة التأليف فى دار التوحيد : الشخصية الإسلامية ص ٣٥ ، ٣٦ ط دار التوحيد بإيران ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م

فالثقافة الإسلامية إيجابية فاعلة فى علاقة الإنسان بالكون والحياة فى حدود المجال الإنسانى ، وهذا ناتج عن أن مبادىء الإسلام لا تتمثل فى مجرد مجموعة من القيود والضوابط الرادعة ، وإنما هى فى صميمها قوة بناءة وحركة دافعة إلى النمو المطرد ، وانطلاق إلى الحركة وتحقيق الذات ، فى هذه الحركة ، ولكن بأسلوب نظيف .

إن العمل والإيجابية صورة أخلاقية فى الثقافة الإسلامية على عكس التبطل و السلبية ، فإنها صورة غير أخلاقية لأنها تنافى غاية الوجود الإنسانى كما يصورها الإسلام ، وهى الخلافة فى الأرض ، واستخدام ما سخره الله للإنسان من قوة و طاقة فى البناء و التعمير ، يستطيع عبادة الله سبحانه وتعالى.[1]

فإيجابية الثقافة الإسلامية هى إيجابية الإنسان فى الكون ، وإيجابية المؤمن بهذه العقيدة من واقع الحياة .

إن هذا التصور ما يكاد يستقر فى الضمير ، حتى يتحرك ليحقق مدلوله فى صورة عملية ، وليترجم ذاته فى حالة واقعية ، والمؤمن بهذا الدين ما يكاد الإيمان يستقر فى ضميره حتى يحس أنه قوة فاعلة مؤثرة ، فاعلة فى ذات نفسه ، وفى الكون من حوله .

إن التصور الإسلامى ليس تصورا سلبيا يعيش فى عالم الضمير قانعا بوجوده هناك فى صورة مثالية نظرية ، أو تصوفية روحية ، إنما هو تصميم لواقع

---

(١) د . محفوظ على عزام : نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ص ٣٧ .

مطلوب إنشاؤه وفق هذا التصميم ، وطالما هذا الواقع لم يوجد فلا قيمة لذلك التصميم فى ذاته إلا باعتباره حافزا لا يهدأ لتحقيق ذاته .

هذا ما يثيره التصور الإسلامى فى شعور المسلم ، ومن ثم يجد دائما هاتفا ملحا فى أعماقه يهيب به إلى تحقيق هذا التصور فى دنيا الواقع ، ويؤرقه حتى يهب للعمل ، ويفرغ طاقته الإيمانية كلها فى هذا العمل الإيجابى البناء، فى إنشاء واقع تتمثل فيه هذه العقيدة فى حياة الناس .

وحيثما ذكر الإيمان فى القرآن ، أو ذكر المؤمنون ، ذكر العمل الذى هو الترجمة الواقعية للإيمان ، فليس الأمر مجرد مشاعر ، إنما هو مشاعر تفرغ فى حركة لإنشاء واقع وفق التصميم الإسلامى للحياة ، أو وفق التصور الإسلامى للحياة [1] .

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [2] .

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [3] .

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [4] .

---

(١) سيد قطب : خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ بتصرف .

(٢) سورة الحجرات ، آية رقم : ١٥ .

(٣) سورة النور ، آية رقم : ٥٥ .

(٤) سورة آل عمران ، آية رقم : ١١٠ .

وقال تعالى : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (١) .

فالثقافة الإسلامية ثقافة إيجابية متحركة تأخذ بالمثقف إلى الحياة العملية الدافقة بالسعى والعطاء .

ثالثا : الشمولية :

الثقافة الإسلامية ثقافة شاملة ، لم تتناول جانبا فى حياة الإنسان دون جانب ، بل عالجت جميع حاجاته الفطرية ، ونظمت جميع غرائزه وميوله، فكانت مسئولية الإنسان مسئولية شاملة لأعماله كلها .

قال تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢) .

فالثقافة الإسلامية تمتاز بميزة (الشمول) ذلك لأنها قدمت للبشرية تصورا كاملا ، ومنهجا للحياة الواقعية شاملا لكافة جوانبها وهو منهج صالح للتطبيق فى كل زمان وفى كل مكان .

أما الشمول العقدى فيتمثل ببيان حقيقة التوحيد ، الذى يعطينا تفسيرا واضحا لوجود هذا الكون ابتداء ، ولكل حركة فيه ، كما يعطينا تفسيرا واضحا و وافيا لكل ظاهرة الحياة و نشوئها وتكوينها وتكوين الإنسان من عقل

---

(١) سورة آل عمران ، آية رقم : ١٩٥ .

(٢) سورة الحجر الآيتان : ٩٢ ، ٩٣ .

وجسم و روح [1] .

هذا التصور مستمد من كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ وهو يعرف الناس بربهم تعريفا دقيقا كاملا وشاملا .. يعرفهم بذاته سبحانه ، وبصفاته العليا ، وأسمائه الحسنى ، كما يعرفهم بأثر الألوهية فى الكون ، وفى الإنسان ، وفى سائر الكائنات الحية [2] .

وهذا التعريف بالوجود الإلهى ، والوحدانية ، والتفرد بالخلق ، وكل الصفات الإلهية يدخل إلى النفس الإنسانية ، ويؤثر فيها بحيث يشعر الإنسان بعظمة الله دائما ، ويحس برقابته فى كل عمل ، وفى كل قول [3] . قال الله تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [4]

هذا التصور الشامل للوجود يرد الإنسان إلى خالقه فيتلقى منه العقيدة والقيم والمبادىء والأنظمة وسائر ما يواجه به الحياة .

والإنسان فى ظل هذا التصور يستطيع أن يعيش لآخرته وهو فى دنياه ، وأن يعمل لله وهو يعمل لمعاشه ، وأن يزاول أوجه نشاطه الإنسانى وهو مرتبط

---

(١) عز الدين الخطيب التميمى و آخرون : نظرات فى الثقافة الإسلامية ص ٢٤ .

(٢) د . نادية شريف العمرى : أضواء على الثقافة الإسلامية ص ٣٠ .

(٣) د . نادية شريف العمرى : أضواء على الثقافة الإسلامية ص ٣٠

(٤) سورة البقرة ، آية رقم : ٢٥٥ .

بالله ـ تبارك و تعالى ـ ينال الأجر و المثوبة .

ومن ثمرات هذه الميزة أنها تمنح القلب و العقل الراحة و الطمأنينة ، وتصله اتصالا مباشرا بالله ـ تبارك وتعالى ـ خالق الإنسان و الكون ، وواهب الحياة ، فلا يبقى الإنسان حائرا وحيدا ، ضعيفا بدرب الحياة ، بل يجد الملجأ والملاذ ، يجد المعين والقوى والمعطى والمعز والموجد والعظيم ، يجد الله دائما معه يعينه على الوصول إلى الحق الساطع الذى لا ريب فيه ، ويلهمه السداد خائفا حذرا غير آمن من مكره [1] .

قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [2] .

ويقول الشهيد سيد قطب فى خاصية الشمول :

« إحدى هذه الصور وأكبرها : رد هذا الوجود كله .. بنشأته ابتداء و حركته بعد نشأته ، وكل انبثاقة فيه ، وكل تحور ، وكل تغير ، وكل تطور ، والهيمنة عليه وتدبيره وتصريفه وتنسيقه .. إلى إرادة الذات الإلهية السرمدية الأبدية المطلقة .

هذه الذات المريدة القادرة المطلقة المشيئة ، المبدعة لهذا الكون ، ولكل شيء فيه ، ولكل حس ، ولكل حركة ، وكل انبثاقة ، وكل تحور ، وكل تغير ، وكل تطور .. بقدر خاص ، وبمجرد توجه الإرادة ، فالله سبحانه هو

---

(١) انظر الدكتورة نادية شريف العمرى : أضواء على الثقافة الإسلامية ص ٣١

(٢) سورة البقرة آية رقم : ١٨٦ .

الذى أنشأ هذا الكون ابتداء ، وهو الذى يحدث فيه بمشيئته كل تغيير جديد، وكل انبثاق وليد .

وهذه حقيقة التوحيد الكبيرة ، التى هى المقوم الأول للتصور الإسلامى، وتقرير هذه الحقيقة يشغل مساحة واسعة من القرآن الكريم .(١)

إن هذا التصور عن طريق خاصية الشمول ـ فى صورتها هذه ـ يملك أن يعطينا تفسيرا مفهوما لوجود هذا الكون ابتداء ، ثم لكل حركة فيه بعد ذلك وكل انبثاقة ، ويعطينا على الأخص تفسيرا مفهوما لانبثاق ظاهرة الحياة فى المادة الصماء ، وهى بدون شك شىء آخر غير المادة الصماء ، شىء هائل وشىء عجيب ، وشىء مقصود ، وبين خصائصه وخصائص المادة الصماء من الأبعاد مايلى مباشرة ما بين العدم والوجود من الأبعاد .

إن هذا الكون يواجه الكينونة الإنسانية ابتداء وجوده ، ويتطلب منها إدراكا وتفسيرا لهذا الوجود ، ثم يواجهها بتناسقه وتوازنه وموافقاته العجيبة التى يستحيل أن تأتى بها المصادفة ـ فللمصادفة كذلك قانون يستحيل معه أن تتجمع هذه الموافقات كلها مصادفة .(٢)

ويتطلب منها إدراكا وتفسيرا لهذا التناسق والتوازن والموافقات العجيبة .

والحياة كذلك تواجه الكينونة الإنسانية بعلامات استفهام كثيرة ـ لا تقل إن لم تزد عمقا ـ عن علامات الاستفهام التى يثيرها الكون بوجوده

---

(١) سيد قطب : خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ، ص ٩٢ .

(٢) كريس موريسون : العلم يدعو إلى الإيمان ، ترجمة محمود صالح الفلكى ص ١٩١ ـ ١٩٤ ط / مكتبة النهضة ، الطبعة الأولى .

وتناسقه . هذه الحياة كيف انبثقت في المادة الميتة ؟ وكيف سارت وتسير سيرتها هذه العجيبة المحوطة بآلاف الموافقات والموازنات والتقديرات المرسومة بهذا الحساب الدقيق ؟ .

إن التصور الإسلامي هو وحده الذى يملك أن يقدم لنا التفسير المفهوم لكل هذه الموافقات فى تصميم الكون .(١)

وصورة أخرى من صور خاصية الشمول فى الثقافة الإسلامية وهى حقيقة العبودية وخصائصها وصفاتها ، ويتحدث عن هذه الحقيقة ممثلة فى الكون والحياة ، والإنسان ، فيتحدث الإسلام عن حقيقة الكون ، وعن حقيقة الحياة ، وعن حقيقة الإنسان .

ويربط بين مجموع تلك الحقائق من جميع جوانبها فى تصور واحد منطقى فطرى يتعامل مع بديهة الإنسان وفكره ووجدانه ، ومع مجموع الكينونة البشرية في يسر وسهولة .

وهكذا تتكون من مجموعة الحقائق صورة كاملة شاملة وتفسير جامع مفصل .(٢)

ومن ثمرات الشمول فى الثقافة الإسلامية أن يشعر العبد برقابة الله ـ تبارك وتعالى ـ له فى كل تصرفاته . فيولد فى نفسه عنصر الأخلاق الذاتى ، فهو يخلص لله فى عمله ، ويخلص لله فى عباداته ، ولايتجاوز دائرة الحلِّ ،

---

(١) سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، ص ٩٣ .

(٢) سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، ص ٩٣ .

ولا يتعداها إلى المحرمات ، وإلا فإنه يستحق العقاب الذى يخشاه ويفر منه .

ومن الثمرات أيضا أنه يعصم الإنسان من الالتجاء إلى غير الله ـ تبارك وتعالى ـ كما يعصمه من أن يستمد التشريعات والأنظمة من غير كتابه الذى هو كتاب هداية وشريعة ومنهاج كامل للحياة .[1]

رابعا : التوازن :

ومن خصائص الثقافة الإسلامية أنها ثقافة تتسم بسمة «التوازن» ذلك لأنها تقوم على أسس عقدية متوازنة ، وعلى مناهج متوازنة ، لا إفراط فيها ولا تفريط ، ولا مغالاة ، ولا تقصير .

ففى مجال العقيدة يقوم التصور الإسلامى على أساسين متوازيين :

ـ أولهما : الإيمان بالغيب .

ـ ثانيهما : الإيمان بعالم الشهادة .

أما الإيمان بالغيب فيتمثل فى الإيمان بوجود الله وبألوهيته وربوبيته ، والإيمان باليوم الآخر وما يتضمن من أهوال وحساب ، وموقف وصراط ، وجنة ونار .

وأما الإيمان بعالم الشهادة فيتمثل فى الإيمان بحقيقة الإنسان والكون وسائر المخلوقات الحية ، وهذا الإيمان بشقيه يتلاءم مع فطرة الإنسان التى تريد أن تركن الى قوة عظيمة مغيبة غير مرئية ، تستمد منها العون وتجد فى صلتها بها الأمن والطمأنينة ، قوة أعظم من أن يحيط بها الإدراك الحسى ، ولكن آثارها

---

(١) د . نادية شريف العمرى : أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص ٩٢ .

من قدرة وإبداع وخلق تدل على وجودها وهيمنتها وصفاتها العظمى [١]

ويقول الشهيد ، سيد قطب : إن العقيدة التي لا غيب فيها ولا مجهول ولا حقيقة أكبر من الإدراك البشرى المحدود ، ليست عقيدة ، ولا تجد فيها النفس ما يلبى فطرتها وأشواقها الخفية إلى المجهول المستتر وراء الحجب المسدلة، كما أن العقيدة التي لا شيء فيها إلا المسميات التي لا تدركها العقول ليست عقيدة ، فالكينونة البشرية تحتوى على عنصر الوعى ، والفكر الإنسانى لابد أن يتلقى شيئا مفهوما له ، له فيه عمل ، يملك أن يتدبره ويطبقه ، والعقيدة الشاملة هي التي تلبى هذا الجانب وذاك ولتتوازن بها الفطرة [٢] .

والثقافة الإسلامية بهذه الصفة توازن بين عبودية الإنسان عن الواحد ـ تبارك وتعالى ـ وبين مقام الإنسان الكريم في الكون .

فهناك فصل تام بين حقيقة الألوهية والربوبية وما تقتضيه من صفات وأسماء ، وبين حقيقة العبودية ، قال الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣] . وقال تعالى :﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٤] .

وبجانب الفصل التام بين حقيقة الألوهية والربوبية وبين حقيقة العبودية فإن هذه الثقافة توازن بين المادة والروح : «فلم يكن لجانب أن يطغى على آخر

---

(١) د . نادية شريف العمرى . أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) سيد قطب : خصائص التصور الإسلامى ، ص ١٣٤ .

(٣) سورة الشورى ، الآية رقم : ١١ .

(٤) سورة الحديد ، الآية رقم : ٣ .

في الإنسان . فلم تهتم بالقيم الروحية على حساب القيم المادية ، بل وازنت بينها ، فلا تلهي الإنسان تجارته عن ذكر الله ، ولا يمنعه ذكر الله عن ممارسة التجارة وغيرها من أعمال الحياة فقد جمعت بين أمور الدين والدنيا ، قال تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (١) .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، وليس بخيركم من ترك آخرته لدنياه** » (٢) .

فالثقافة الإسلامية ربطت الإيمان بالأعمال ، والدنيا بالآخرة ، فكانت ثقافة متوازنة جديرة بالبقاء وطول الحياة (٣) .

فالثقافة الإسلامية امتازت بالتوازن في كل شيء ، والتوازن ميزة تنفرد بها الثقافة الإسلامية ، بين سائر الثقافات الأخرى ، وهي وحدها التي تضع الإنسان في المكان المناسب له ، فكان فيه راحة نفسية ، واستقرار وجداني ، وسعادة قلبية ، وهو أصلح مكان لهذا المخلوق .

والثقافة الإسلامية بخاصية التوازن تحصن المسلم من أن يتلقى من تعاليم الغرب أو أن يأخذ من غير حضارته ، وإذا أخذ شيئا منها فبمنتهى الحذر والتأني ؛ لأن الأقطار الأسطورية دخلت إلى أذهان الغربيين ، وأثرت بمناهجهم الفكرية عن عمد فهم أو عن غفلة (٤) .

---

(١) سورة القصص ، الآية رقم : ٧٧ .

(٢) رواه ابن عساكر والديلمي .

(٣) عز الدين الخطيب التميمي وآخرون : نظرات في الثقافة الإسلامية ص ٢٥ .

(٤) د . نادية شريف العمري : أضواء على الثقافة الإسلامية ص ٣٥ .

يقول الشهيد سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ : (إن التصورات الأوروبية التى مكنت فيها تلك التصورات الأسطورية المختلفة ، ودخلت فى صميمها ، بل دخلت فى مناهج تفكيرها ، إن هذه التصورات الأوروبية وماقام عليها من مناهج التفكير ومانتج منها من مذاهب وأفكار ـ كلها تصطدم ـ اصطداما ظاهريا أو خفيا ، مع التصور الإسلامى ، ومناهج الفكر الإسلامية ، وإن أى استعارة من تلك التصورات أو مناهج التفكير أو إنتاجها من المذاهب والأفكار ، تحمل فى صميمها عداء طبيعيا للتصور الإسلامى وللفكر الإسلامى ، ولا تصلح بتاتا للاقتباس منها أو الاستعانة بها ، بل هى كالسم الذى يتلف الأنسجة ويؤذى الأعضاء ويقتل فى النهاية إذا كثر المقدار .[1]

خامسا : العالمية :

إن الثقافة الإسلامية ثقافة إنسانية عامة لا تفرق بين إنسان وإنسان فهى صالحة لأن تكون ثقافة لكل إنسان بغض النظر عن لونه ودمه وموطنه فهى عامة لجميع البشر فى كل زمان ومكان ، فليست خاصة بقوم ، ولا محصورة بمكان ، ولا محدودة بزمان [2].

والإسلام يحارب كل دعوة عنصرية ، ويبرأ منها كالفارسية والطورانية والبربرية ، والفرعونية ، والقومية وغيرها ، فالدعوات العنصرية ماهى إلا «الأسفين» الذى يفرق الناس ، ويقوض وحدة المسلمين[3]. ، وقد حذر

---

(١) سيد قطب : خصائص التصور الإسلامى ، ص ١٧٠ .

(٢) عبدالكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية ص ١٢٠ ـ ١٢٣ .
وانظر عمر عودة الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية .

(٣) عز الدين الخطيب وآخرون : نظرات فى الثقافة الإسلامية ص٢٣

الرسول ـ ﷺ ـ من مثل هذه الدعوات ، فقال : « **دعوها فإنها منتنة**»[1] . وقال عليه الصلاة والسلام ـ : « **ليس منا من دعا إلى عصبية**»[2] .

ومن المعلوم أن الإسلام خاطب الإنسان منذ بعثة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أعلن الوحى أن محمدا رسول الله المبعوث إلى الناس أجمعين . قال تعالى :﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[3] .وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[4] .

وقد كانت دعوات من سبقه من الأنبياء والرسل محصورة بأقوامهم ، فقد كان كل نبى من الأنبياء يقول : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[5] . أما خاتم المرسلين فأمر أن يقول :﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[6] .

وأما خصيصة العالمية فتعنى أن الإسلام رسالة يجب على الأمة أن تحملها إلى العالم لإنقاذه من الضلالة والشقاء .

ولذلك كانت نظرة هذه الثقافة إلى الناس نظرة إنسانية عامة ، يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

(٢) رواه أبو داود عن جبير بن مطعم .

(٣) سورة الأعرف : آية رقم : ١٥٨ .

(٤) سورة سبأ ، الآية رقم : ٢٨

(٥) سورة الأعراف : الآية رقم : ٨٥ .

(٦) سورة الأعراف : الآية رقم : ١٥٨ .

وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [١]. وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى** » [٢].وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **الناس سواسية كأسنان المشط** » [٣].

من هذه الخصائص التى سبق عرضها تظهر قيمة الثقافة الإسلامية ، وتبرز مكانتهاالرفيعة السامية من بين سائر الثقافات الأخرى ، تلك الثقافات التى تقلل من منزلة الفرد وتحط من قدره ، ولا ترقى إلى المرتبة اللائقة به ؛ لأنها تعد الإنسان المكون من الجسم والروح غلطة منكرة ، وأن الإنسان المثالى ـ فى نظرها الخاطىء ـ هو الذى تخلى عن رغباته وأهوائه.

كما تظهر جدية الثقافة الإسلامية وقوتها وقدرتها على توجيه الإنسان والمجتمع الوجهة الأخيرة الجادة الواثبة العاملة ، إذ أنها تنمى الاستعدادات الفطرية والمواهب الإنسانية ، وتدعو إلى التعاون على التقوى وإلى التعاون لإنتاج كل مامن شأنه أن يسعد البشرية ويخدم الإنسانية .

فثقافة هذا شأنها وتلك خصائصها تجعل منها القضية المصيرية للعالم أجمع ، فضرورتها للحياة الكريمة العزيزة أشد من ضرورة الطعام والشراب .

* * *

---

(١) سورة الحجرات : الآية رقم : ١٣ .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه البزار فى مسنده . وراجع فى العالمية كتابنا «هذا هو الإسلام» .ط. دار الثقافة بالدوحة ، سنة ١٩٨٦ م .

الثقافة الإسلامية فى مواجهة الثقافات المناوئة

إن الباحث فى موضوع الثقافة الإسلامية فى مواجهة الثقافات المناوئة ، أيا كانت هذه الثقافات ، يجد أن الثقافة تملك أدوات التصدى والمواجهة لهذه الثقافات ، ولكن ذلك رهين بعودة المسلمين الى ثقافتهم ، ويحسن بنا أن نعرض للموضوع من خلال القضايا الآتية:

١ ـ الثقافة الغربية المعاصرة .

٢ ـ طبيعة الصراع الثقافى فى العصر الحديث .

٣ ـ وظيفة الثقافة الإسلامية فى الصراع والمواجهة .

ولا يخفى أن التعرف على الثقافة الغربية المعاصرة . سوف يكشف للباحث عن أمور كثيرة أهمها ما يأتى :

١ ـ جذور الثقافة الغربية المعاصرة .

٢ ـ أصول هذه الثقافة ومصادرها .

أولا : جذور الثقافة الغربية المعاصرة :

فإذا بحثنا عن جذور الثقافة الغربية المعاصرة وجدنا أن هذه الجذور غير أصيلة .

١ ـ وبعض هذه الجذور فلسفى ، وقد امتد نتيجة فلسفات متعددة بعضها مادى ، وبعضها الآخر وثنى إغريقى .

٢ ـ وبعض هذه الجذور نصرانى ، تكون نتيجة آراء الكهنة والقساوسة .

٣ ـ وبعض هذه الجذور جاء نتيجة زحف فلسفة «**البراجماتزم**» التى

أسسها «بيرس» و«وليم جيمس» و«جون ديوى»[1].

من خلال هذه الجذور نشأت الثقافة الغربية المعاصرة نتيجة أخلاط مختلفة، وأفكار ممزقة.

ثانيا : أصول الثقافة الغربية ومصادرها :

أما أصول الثقافة الغربية المعاصرة ومصادرها فنعثر عليها في :ـ الثقافة الإغريقية ويذكر **«رجاء الله جارودى»** في كتابه **«حوار الحضارات»** : ذاك هو أصل ثقافتنا التى كان أول ازدهارها ماثلا في الفلسفة الإغريقية التى ولدت في آسية الصغرى مع **«تاليس الميلى»** و**«انكسمندر»**و**«انكسمين»** و**«كزنوفون»** و**«هرقليط»** و**«ديمقريط»** من الفلاسفة الذين سبقوا **«سقراط»**[2].

ـ الثقافة التى ابتدعها الكهنة والرهبان من عند أنفسهم. هذه الثقافة كونت في مجموعها مصادر الثقافة الغربية المعاصرة.

ومما يكاد يكون معروفا أن أوروبا اكتشفت الفكر الإسلامى في مرحلتين من مراحل تاريخها، فكانت مرحلة القرون الوسطى قبل وبعد **«توماس الأكوينى»** تريد اكتشاف هذا الفكر وترجمته. ومن أجل إثراء ثقافتها بالطريقة التى أتاحت لها فعلا تلك الخطوات التى هدتها إلى حركة النهضة منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادى.

---

(١) انظر أحمد السايح :فلسفة البراجماتزم. مجلة دعوة الحق. المغرب ١٩٦٦ م.

(٢) رجاء الله جارودى :حوار الحضارات، ص ١٩، ترجمة د. عادل العوا منشورات عويدات، بيروت، باريس، سنة ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م.

وفى المرحلة العصرية الاحتلالية ، فإنها تكتشف الفكر الإسلامى مرة أخرى ، لا من أجل تعديل ثقافى ، بل من أجل تعديل سياسى لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع فى البلاد الإسلامية من ناحية ، ولتيسير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه السياسات من البلاد الإسلامية [1].

ويذكر بعض المؤرخين أن الجيوش الصليبية لما هاجمت بلاد الإسلام كانت مدفوعة إلى ذلك بدافعين :

ـ الدافع الأول : دافع الدين والعصبية العمياء التى أثارها رجال الكنيسة فى شعوب أوربا مفترين على المسلمين أبشع الافتراء محرضين النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدى الكفار ـ أى : المسلمين ـ فكان جمهرة المقاتلين ، من جيوش الصليبيين من هؤلاء الذين أخرجتهم العصبية الدينية من ديارهم عن حسن نية ، وقوة عقيدة إلى حيث يلاقون الموت ، والقتل والشريد ، حملة بعد حملة ، وجيشا بعد جيش .

ـ والدافع الثانى : دافع سياسى احتلالى ، فلقد سمع ملوك أوربا بما تتمتع به بلاد المسلمين من حضارة ، وثروات ، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح ، وما فى نفوسهم إلا الرغبة فى الاحتلال .. وشاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة ، وقد رأى الصليبيون بعد الإخفاق عسكريا أن يتجهوا إلى دراسة شئون المسلمين وعقائدهم تمهيدا لغزوهم ثقافيا [2].

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣ ، بتصرف واختصار شديد .

وسائل الغرب فى الصراع الثقافى

ووسائل الغرب فى الصراع الثقافى كثيرة ومتعددة . وتكاد تشمل جميع جوانب الحياة ، وهذه الوسائل لم تكن إلا بناء على دراسات دقيقة لأحوال المجتمعات الإسلامية .

لقد خطط أعداء الأمة المسلمة ، وتدارسوا الأمر فيما بينهم ، ووضعوا مخططات تنفذ بكل دقة ، وتوالت تنتشر بين المسلمين ، يساعد على ذلك أمران :

ـ الأمر الأول : موالاة بعض حكام المسلمين للغرب .

ـ والأمر الثانى : الدعاية للنظم الغربية والتغرير بها .

ولولا هذه المساعدة لكان من الصعب على أساليب ووسائل الغرب أن يستشرى خطرها ، وقد نجح الغزو الفكرى فى إعداد بعض «كوادر» تتولى القيادة وإدارة أمور المجتمعات ، وكانت الدعاية للنظم الغربية والتغرير بها تدفع الناس إلى قبول ما يأتى من الغرب ـ أيا كان ـ .

ووسائل الغرب فى الغزو يلمسها المراقب والباحث فى كثير من القضايا مثل :

(١) حملات التشويه .

(٢) إحياء النزعات الجاهلية .

(٣) إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة .

(٤) التعليم والثقافة .

أولا : حملات التشويه :

فإذا مابحثنا في حملات التشويه ـ والتي كانت مظهرا من مظاهر الغزو الفكري ـ وجدنا هذه الحملات مست كل ما يتصل بالإسلام من عقائد ، ونظم وتراث ، وتاريخ ، وفكر ، وحياة .

١ ـ فهناك محاولة تشويه عقيدة المسلمين ، بغير سند ولا دليل ، يقول «ريفان» القرنسي ، يصور عقيدة التوحيد في الإسلام «**بأنها عقيدة تؤدى إلى حيرة المسلم . كما تحط به كإنسان من أسفل الدرك**» (١).

ودائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الجديدة التي لم تترجم إلى اللغة العربية ، تعرض تحت مادة «ابن تيمية» أن ابن تيمية كان مسرفا في القول بالتجسيد ، ومن ثم كان يفسر كل الآيات والأحاديث التي تشير إلى الله بظاهر اللفظ ، وقد تشبع بهذه العقيدة إلى درجة أن ابن بطوطة يروى عنه ، أنه قال من منبر جامع دمشق :« **إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ثم نزل درجة من درج المنبر**» (٢).

٢ ـ وهناك محاولة تشويه القرآن الكريم ، وهي محاولة قديمة وحديثة ، وهذه المحاولة كغيرها بعيدة عن العلم والمنطق ، يقول المستشرق جب : «**إن محمدا قد تأثر بالبيئة التي عاش فيها ، وشق طريقه بين الأفكار والعقائد الشائعة في بيئته ، فالقرآن من صنع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن ملاءمات هذه البيئة التي عاش فيها**» (٣).

---

(١) د . توفيق يوسف الواعي : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٧٠٨

(٢) عبدالعزيز علي الحويني : مجلة المنهل ، العدد : ٤٨٥ ص :١٠٨ ، ١٠٩ ، جمادى الآخرة ١٤١١هـ ،جدة .

(٣) د . علي محمد عبدالحليم : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص:٢٩ ، ط : جامعة الإمام ١٤٠١هـ

٣ ـ وهناك محاولة تشويه السنة النبوية المطهرة ، وهى محاولات ضارية ، عميقة الجذور فى تاريخ الحرب ضد الإسلام ، وهى محاولات تستهدف ما تستهدفه محاولات تشويه القرآن الكريم ، من عزل المسلمين عن دينهم ، بتشويه مصدريه الأساسين «القرآن» و «السنة» . وهى حرب دخلت على المسلمين حديثا ،عن طريق الغزو الفكرى ، وقد جند أعداء الإسلام لتشويه السنة المطهرة ما جندوا من أقلام ، وكتب ، ومجلات ، وبحوث ، ومجمل محاولات الأعداء :

ـ الادعاء بأن هناك أحاديث لا يمكن أن تكون صدرت عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ـ والادعاء بأن محاولة وجود شىء فى الحديث النبوى يمكن القطع بصحة نسبته إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ، تاريخيا ـ محاولة فاشلة .

ـ والادعاء بأن الفرق الإسلامية عندما اختلفت فى الآراء . أخذ كل منها يضع لنفسه الأحاديث التى يؤيد بها رأيه .

ـ الادعاء بأن الأحاديث النبوية ليست إلا سجلا للجدل الدينى فى القرون الأولى [١].

٤ ـ وهناك محاولة تشويه شخصية الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى محاولات قديمة وحديثة ومستمرة تهاجم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتحاول أن تنال من شخصه .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

ومن هؤلاء الأعداء الحاقدين على الإسلام الذين تطاولوا على شخصية الرسول الصادق الأمين :

(١) «وليم موير في كتابه» (حياة محمد) .

(٢) «هنرى لانس اليسوعى» فى كتابه (الإسلام) وقد بلغ من حقد هذا الرجل على الإسلام أن تخبط فيما يكتب إلى الحد الذى أزعج به بعض المستشرقين أنفسهم .

(٣) «الفرد جيوم» فى كتابه (الإسلام) .

(٤) «صموئيل زويمر »فى كتابه : (الإسلام تحد لعقيدة) .

(٥) «كنبثكراج» فى كتابه : (دعوة المئذنة) .

(٦) «أ .ج اريدى » فى كتابه : (الإسلام اليوم) .

(٧) «جولد زيهر» فى كتابه : (تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى)

(٨) «هـ . أ . د . جب» فى كتبه :

أ ـ طريق الإسلام .

ب ـ الاتجاهات الحديثة فى الإسلام .

ج ـ المذهب المحمدى .

د ـ الإسلام والمجتمع الغربى

(٩) «أ . ج فينسنك» فى كتابه : (المستشرقون والإسلام) .

(١٠) « د. س. مرجليوث» فى كتبه :

أ ـ محمد ومطلع الإسلام .

ب ـ التطورات المبكرة فى الإسلام .

ج ـ الجامعة الإسلامية .

د ـ قنطرة إلى الإسلام .

(١١) «ج . **فون . جرونبام**» فى كتبه :

أ ـ (**إسلام العصور الوسطى**) .

ب ـ الإسلام .

ج ـ الأعياد المحمدية .

د ـ الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية .

هـ ـ دراسات فى تاريخ الثقافة الإسلامية .

(١٢) « **د .ب ماكدونلد**» فى كتابه : (**تطور علم الكلام والنقد والنظرية الدستورية فى الإسلام**) .

(١٣) « **ر. أ . نيكلسون**» فى كتابه (**متصوفو الإسلام**) .

(١٤) « **ر . بل**» فى كتابيه :

أ ـ أصول الإسلام فى بيئة المسيحية .

ب ـ مقدمة القرآن .

(١٥) «**أرثر جيفرى**» فى كتابه (**مصادر تاريخ القرآن**)

(١٦) «**يوسف شاخت**» فى كتابه (**أصول الفقه الإسلامى**) .

(١٧) «**آرنولد توينبى**» فى كتابه (**دراسة فى التاريخ**) .

(١٨) «**فيليب حتى**» وهو نصرانى لبنانى فى كتابه (**تاريخ العرب**)

(١٩) «**مجيد خورى**» وهو نصرانى مسيحى عراقى فى كتابه (**الحرب والسلام فى الإسلام**) .

(٢٠) «إبراهام كاش» فى كتابه (**اليهودية فى الإسلام**) .

(٢١) «إدوارد فرمان» فى كتابه (**تاريخ المسلمين وفتوحاتهم**) .

(٢٢) « ج . س . أرثر» فى كتابه (**العناصر الصوفية فى محمد**) .

(٢٣) « د .بلاشير » فى كتابه (**مقدمة القرآن**) .

(٢٤) «سنوك هورج رونجر» فى كتابه (**الإسلام**)[١] .

وغير هؤلاء كثير . وما أردنا الإحصاء أو الاستقصاء .. وكل هؤلاء حاولوا تشويه الإسلام ، ونالوا من شخص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما كتبوا وافتاتوا على الحق ، وموّهوا وملأوا الدنيا ضجيجا بأصوات الباطل ، وهراء الجاهلين وسموم الحاقدين [٢] .

٥ ـ وهناك محاولة تشويه التاريخ الإسلامى ، وهذه المحاولة من أخبث المحاولات ، وأكثرها خبثا ومكرا ، فقد صور هؤلاء الحاقدون على الإسلام والمسلمين أن الفتوحات الإسلامية غزو واستعباد ، وأن الخلافة الإسلامية خلافة تآمر ، وسفك للدماء ، وغير ذلك كثير مما لا يقره عقل، ولا دين .

٦ ـ وهناك محاولة تشويه التراث الإسلامى ، ولايخفى أن تشويه تراث الأمة هو تشويه الأصالة التى تنطلق منها ، وتراث المسلمين تعرض لانتهاك هؤلاء الحاقدين على كل ما هو إسلامى ، فأصابه ما أصاب غيره من الافتراء والافتئات.

---

(١) د. على عبدالحليم محمود : الغزوالفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص : ٤٦ . وانظر كذلك بحثنا «الغزو الفكرى فى التصور الإسلامى» بمنظمة المؤتمر الإسلامى ـ المجمع الفقهى بجدة السعودية ١٤١١ هـ .

٧ ـ وهناك محاولةتشويه الشريعة الإسلامية ، وهذه المحاولة تزعم أن الشريعة الإسلامية شريعة صحراوية موقوتة بعصرها وبيئتها .

٨ ـ وهناك محاولة تشويه مجال الغيب في الإسلام ، وهذه المحاولة أريد منها زعزعة الإيمان بالغيب عند المسلمين ؛ ولذا جاءت المحاولة تشكك في كل ما لا تدركه الحواس ، وتفسر الجزاء عند المصدقين به بأنه جزاء روحي ، والجنة والنار بأنها شعور نفسي .

٩ ـ وهناك محاولة تشويه نظام الحياة الإسلامية ، وذلك بالادعاء بأنه لا يوجد نظام للحياة معروف في الإسلام . والتهم التي وجهت إلى نظام الحياة الإسلامية كثيرة ، ولكن أبرزها وأخطرها :

أولا : اتهامهم للشريعة والنظم الإسلامية بالرجعية وعدم القدرة على مواكبة ركب التحضر والتقدم ، .

ثانيا : اتهامهم النظم الإسلامية بالقصور ، والإقليمية .

ثالثا : اتهامهم لها بأنها عند التطبيق والتنفيذ تعتمد على وحشية أو همجية أو قسوة وبخاصة فيما يتصل بالرجم والقطع والجلد .

رابعا : اتهامهم للشريعة والنظم الإسلامية بأنها لم تحظ بإجماع المسلمين عليها ، في عصر من العصور .

خامسا : اتهامهم لها بأنها تتجاهل الأقليات غير الإسلامية في ظل الدولة الإسلامية .

وهذه التهم قد أطلقها أعداء الإسلام من غير المسلمين ، وشاركهم في إطلاقها بعض المسلمين المخدوعين بالفكر الغربي أو العملاء المأجورين .

١٠ ـ وهناك محاولات تشويهية أخرى تتصل بجوانب من الإسلام ، إن هذه المحاولات فى مجموعها تشكل انقضاضا على مبادىء الإسلام وتعاليمه .

ثانيا : ومن وسائل الصراع الثقافى : إحياء النزعات الجاهلية التى لا تتفق مع تعاليم الإسلام كالدعوة إلى القومية ، والدعوة إلى الفرعونية ، والأشورية والفينيقية وما جرى مجرى هذا ، مما يتنافى مع الإسلام .

ثالثا : الدعوة إلى التحلل والإباحية : وهذه دعوة خبيثة لأنها تطعن فى أخلاقها وقيمها ، وقد شاعت فى المجتمعات المسلمةمن أمور ثقافتها ماتمجه الفطر السليمة . ولكنه الانحراف الذى لا يعترف بالقيم الفاضلة .

رابعا : إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة : ولا يخفى أن إبعاد العلماء عن المراكز التوجيهية أمر له خطورته ، وفى بعض المجتمعات تقلص دور العلماء وأصبح قاصرا على خطبة الجمعة ، وبعض الأحاديث التى تخضع للعيون الساهرة والمراقبة الدقيقة ، وأصبح بعض العلماء يجرون وراء المناصب جريا تذل له الجباه، ويطلبون المناصب بما لهم من مآثر فى الأتباع وأياد فى التصفيق والتأييد .

خامسا : التعليم والثقافة : ولا يخفى أن الغزو الفكرى ، ينتشر من خلال مدارس التعليم ومعاهده وجامعاته أكثر من أى مظهر خارجى .

وقد دخلت وسائل الغرب إلى العالم الإسلامى من باب يخيل إلى العلميين من الناس أنه الباب الطبيعى ، إذ حمل اسم العلم والمعرفة والتمدن ،

---

(١) المصدر السابق ، ص : ٧٨ .

ويقول القس «زويمر» : «المدارس أحسن ما يعول عليه المبشرون فى التحكك بالمسلمين»[١] .

ومن المعروف أن المسلمين أقبلوا على هذه المدارس بكثرة كاثرة يزدردون مناهجها ، ويلتهمون كل ما أنتجته من عقيدة وفكر ، لا يميزون صحيحها من فاسدها ، ونفعها من ضرها [٢]

وبما أن الثقافة ليست علوما ومعارف وآدابا وفنونا فحسب ، بل مناهج فكر، وخلق تصطبغ حياة الأمة بصبغتها . فإن «الغزو الفكرى» استطاع من خلال الثقافة أن يلقى بمزيج من الأخلاط الغربية الملتمسة من الفكر الغربى المنحرف ، والتوجيه الفاسد القائم على التخطيط الشرير[٣] . ولذا قام الغزو الفكرى بالدعوة إلى الأغراض التالية :

١ ــ الدعوة إلى إضعاف العلاقة بين المسلمين بقطع الروابط الثقافية وإحياء الثقافات الجاهلية .

٢ ــ الدعوة إلى العامية ، وإلى تطوير اللغة .

٣ ــ إيجاد الشعور بالتبعية الثقافية والشعور بمركب النقص .

٤ ــ دفع الجامعات إلى الاعتماد على كتب المستشرقين العلمية .

٥ ــ توهين جهود المخلصين الثقافة والإبداعية .

---

(١) محب الدين الخطيب : الغارة على العالم الإسلامى ص : ٤٨ ط ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م

(٢) إبراهيم النعمة . المسلمون أمام تحديات الغزو الفكرى ، ص : ١٣٠ .

(٣) ا . عمر عودة الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

٦ ـ تمجيد القيم الغربية ، وتسفيه القيم الإسلامية ، والدعوة إلى نبذها.

٧ ـ لفت المجتمعات إلى القشور وإلهائها عما يفيد وينفع .

٨ ـ إحياء المذاهب الفلسفية والجدلية والبعد عن الأساليب العلمية .

٩ ـ إنشاء الموسوعات التاريخية الإسلامية ، وبذر الشكوك وطمس الحقائق فيها .

١٠ ـ الحرص على تكوين جيل مثقف يحمل راية الاستشراق والدعوة إليها .

١١ ـ الدعوة إلى تدريس العلوم الطبية وغيرها بلغات غير اللغة العربية، ليظل المسلم عنده إحساس بعجز اللغة العربية ـ لغة القرآن الكريم .

سادسا : الخدمات الاجتماعية :

والخدمات الاجتماعية مظهر من مظاهر الغزو الفكرى ، وقد وجد المخططون لغزو العالم الإسلامى أن الخدمات الاجتماعية طريق يساعد على إمرار ما يراد إمراره ، من خلال الخدمات الاجتماعية ، ولذلك أصبحت الملاجىء والمستشفيات والمستوصفات والجمعيات الخيرية ووكالات الإغاثة ، ودور الأيتام والمسنين وغيرها ، مراكز غزو .

ومما يلحظ أن «الغزو الفكرى لم يقتصر على المظاهر التى ذكرنا بعضا منها ، وإنما كانت هناك خطوات أخرى ، محسوبة ومتعددة ، على كافة الجهات والطرق ، ومن هذه المخططات :

١ ـ الإرساليات التنصيرية التى قل أن يخلو مجتمع مسلم منها .

٢ـ الإعداد الصهيونى والتنسيق بينه وبين الفكر الغربى .

٣ـ التصنيف والتأليف فى المباحث الإسلامية واستغلال قصور المسلمين فيها .

٤ـ إلقاء المحاضرات فى الجامعات أو الجمعيات الإسلامية .

٥ـ إنشاء دوائر المعارف الإسلامية ، والمعاجم المختلفة وغيرها .

٦ـ استغلال البعثات العلمية والثقافية .

٧ـ الامتيازات الأجنبية والحصانات الدبلوماسية واستغلالها .

٨ـ استغلال الأقليات والطوائف والنعرات .

٩ـ التعاون بين التنصير والسياسة .

١٠ـ استغلال الحركات الوطنية والتطلعات السياسية .

١١ـ استغلال فقر الشعوب وحاجتها ، وعريها ، وربط الإحسان بالتنصير .

١٢ـ استغلال العواطف والجوع الجنسى ، واستخدامه فى خدمة الأهداف .

١٣ـ الرحلات ، وجمعيات الصداقة والدعوة إلى العالمية ، والمخيمات الكشفية .

١٤ـ المساعدات الاقتصادية ، وربطها بتسهيلات ، وتنازلات معينة .

١٥ـ الدعوة إلى الحوار الحر ، مع نبذ العقائد والأفكار ، والتجرد للوصول إلى الحقيقة [١] في زعم هؤلاء .

عوامل انتصار ثقافة الغرب

أولا : العداء الصليبي للإسلام والمسلمين :

والباحثون يدركون أن أوروبا اكتشفت الفكر الإسلامي ، في مرحلتين من مراحل تاريخها : فكانت مرحلة القرون الوسطى . قبل وبعد «توماس الأكويني»[٢] تريد اكتشاف هذا الفكر ، وترجمته ، ومن أجل ذلك إثراء ثقافتها بالطريقة التي أتاحت لها فعلا تلك الخطوات التي هدتها إلى حركة النهضة ، منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، وفي المرحلة العصرية والاستعمارية فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى لا من أجل تعديل ثقافي ، بل من أجل تعديل سياسي ، لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه السياسات في البلاد الإسلامية [٣].

ويذكر بعض المؤرخين أن الجيوش الأوربية الصليبية لما هاجمت بلاد الإسلام كانت مدفوعة إلى ذلك بدافعين :

ـ الدافع الأول : دافع الدين ، والعصبية العمياء التي أثارها رجال الكنيسة في شعوب أوروبا مفترين على المسلمين أبشع الافتراءات ، محرضين

---

(١) المصدر السابق ، ص : ٧٢٣ .

(٢) توماس الأكويني ولد سنة ١٢٢٦م وتوفي سنة ١٢٧٤م ويعد من أعظم الفلاسفة اللاهوتيين في العصر المدرسي النصراني ، وفي سنة ١٣٢٣م منحته الكنيسة الكاثوليكية لقب القديس . «انظر بحثنا» «منهج نقد الاستشراق» المعهد العالي للدعوة المدينة المنورة .

(٣) مالك بن نبي : إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي ص : ٨ ط دار الإرشاد . بيروت ، ١٩٦٩م.

النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدى الكفار ـ أى : المسلمين ـ فكانت جمهرة المقاتلين من جيوش الصليبيين ، من هؤلاء الذين أخرجتهم العصبية الدينية من ديارهم عن حسن نية وقوة وعقيدة ، إلى حيث يلاقون الموت والقتل والتشريد ، حملة بعد حملة ، وجيشا بعد جيش .

ـ الدافع الثانى : دافع سياسى استعمارى ، فلقد سمع ملوك أوربا بما تتمتع به بلاد المسلمين من حضارة وثروات فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح ، وما فى نفوسهم إلا الرغبة فى الاحتلال والاستعمار ، وشاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة [١].

ويكاد يكون معروفا أن أوربا شنت ثمانى حملات صليبية على الشرق الإسلامى ، وقد باءت هذه الحملات بالإخفاق والهزيمة ، فالقديس «لويس التاسع» قائد الحملة الصليبية الثامنة ملك فرنسا ـ وقع أسيرا فى مدينة «المنصورة» فى مصر ، ثم خلص من الأسر بفدية ، ولما عاد إلى فرنسا أيقن أن قوة الحديد والنار لاتجدى نفعا مع المسلمين ، الذين يملكون عقيدة راسخة تدفعهم إلى الجهاد ، وتحضهم على التضحية بالنفس ، وبكل غال . إذاً لابد من تغيير المنهج والسبيل ، فكانت توصياته أن يهتم أتباعه بتغيير فكر المسلمين ، والتشكيك فى عقيدتهم وشريعتهم ، وذلك بعد دراستهم للإسلام لهذا الغرض ، وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار إلى ميدان الفكر [٢]

---

(١) د . مصطفى السباعى : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، ط المكتب الإسلامى ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ .

(٢) إبراهيم النعمة : الإسلام أمام تحديات الغزو الفكرى ، ص ١٢٠ .

ولقد بدأت حركة انتصار الثقافة الغربية من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة بعد هزيمة الحروب الصليبية ـ كما وجههم «لويس التاسع» والعمل على ترجمة القرآن ، والسنة ، وعلوم المسلمين ، للبحث عن الثغرات التي يدخلون منها إلى إثارة الشبهات ، وقد أعلنوا صراحة أن الإسلام هو عدوهم الأول ، وأن أكبر غاية لهم هي ضرب وهدم قواعده [1]. لقد فشلت الحروب الصليبية من الوجهة الحربية ، لكن بقي الغزو الثقافي ينفث سمومه ، ويثير الشكوك ، وبقيت النزعة الصليبية تتوارى خلف ستار من الديبلوماسية ، والرياء السياسي ، تحرك ما تريد تحريكه ، وتقف خلف الغزو الفكرى بكل مالها من قوة وعلم .

ولا شك أن العداء الصليبي للإسلام هو الدافع الأساسي والأصيل للغزو الثقافي الذي تسلط على مجتمعات الأمة المسلمة ، ونجد أن هذا العداء أخذ **«شكل الصعار الوبائي » لدى الأمم الغربية «الصليبية »فأخذوا مستميتين يوزعون السموم ، ذات اليمين ، وذات الشمال ، ويفترون الأكاذيب ، ويطمسون الحقائق ويدبرون المكائد ، ويتصيدون السقطات ، ثم يدخلون في روع أنفسهم ، وبني جلدتهم أنهم أرقى عنصرا ، وأفضل عقلا ، وأنهم أوصياء على البشرية ، وسادة الإنسانية وهداتها ومرشدوها»** [2].

وقال وليم غيفورد بلغراف « الإنجليزي المسمى بالحرباء » الكلمة المشهورة التي يلخص فيها عداء الغربيين للإسلام : **«متى توارى القرآن ،**

---

(١) أنور الجندى : المد الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجرى ، ص : ١٢٦ .
ط. دار الاعتصام ، القاهرة :١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٢) د . توفيق يوسف الواعي : الحضارة الإسلامية ، مقارنة بالحضارة العربية ص ٧٠٤ ، ٧٠٥

ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربى يندرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه» [(١)].

وجلادستون رئيس وزراء بريطانيا يقول : «**مادام القرآن موجودا ، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان»** [(٢)].

ويرى غاردنر «**أن القوة التى تكمن فى الإسلام هى التى تخيف أوربا»** [(٣)].

ثانيا : الاستعمار الغربى للمجتمعات المسلمة :

لقد تعرض المجتمع الإسلامى فى آسيا ، وأفريقيا للطابع الإيديولوجى للمجتمع الأوربى ، سواء الحديث منه فى القرن التاسع عشر ، أو المعاصر فى القرن العشرين ، و لم تكن للمجتمع الإسلامى مناعة فى هذا الطابع وتحديه وعدم تقبله.

فتعرضه للغزو الأوربى ، من أجل الصناعة الغربية ، منذ أثمر عهد النهضة الأوربية ثمرته فى التحرر والخلاص من سلطة الكنيسة ، وفى استرداد الإنسان الأوربى حرية الحركة فى التجارة ، وفى شئون المال على العموم ، وحرية التفكير والتوجيه السياسى [(٤)].

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٠٥ ـ ٧٠٦

(٢) د . نادية شريف العمرى : أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص ١٦٧ .

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى : أجنحة المكر الثلاثة ، ص ١٣ ، ط : دار القلم ، بيروت ، سنة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

(٤) د . محمد البهى : الفكر الإسلامى و المجتمع الإسلامى ، ص ٥١ ، ٥٢ بتصرف ، ط /دار الفكر ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

وكان الوضع في البداية قبل الاستعمار تربصا من جانب المجتمع الأوربي بالمجتمعات الإسلامية ، وانقضاضا عليها من جانب ، بينما كان استسلاما من أي مجتمع إسلامي تعرض للتربص والانقضاض ، وقبولا للوصاية الأجنبية والاستغلال الأوروبي من جانب آخر [(١)]. ومما هو مسجل في صفحات التاريخ أن المجتمع الإسلامي وقع فريسة للاستعمار ، فقد احتلت بريطانيا الهند في سنة ١٨٥٩م ومناطق الخليج الإسلامي وجنوب شبه الجزيرة العربية في سنة ١٨٤٩ م ، ومصر في سنة ١٨٨٢ م والسودان في سنة ١٨٩٨ م واحتلت فرنسا الجزائر في سنة ١٨٤٥ م و تونس في سنة ١٨٨١م والمغرب في ١٩١٢ م و احتلت إيطاليا طرابلس المغرب في سنة ١٩١١ م .

واحتلت هولندا : جزر الأرخبيل الأندونيسية تباعا منذ عام ١٩٠٣ م.

و روسيا احتلت القرم قبل القرن التاسع عشر في سنة ١٨٧٣ م وسيطرت بإشرافها على المجتمعات الإسلامية في وسط آسيا و هي : أذربيجان، وكازاخستان ، وأوزبيكستان ، ونور كبستان ، وكزيخستان .. سيطرة تامة في القرن التاسع عشر . و لم يسلم من الاحتلال الأوروبي سوى : اليمن والحجاز وإيران ، ووسط تركيا [(٢)].

ولا يخفى أن وقوع المجتمعات الإسلامية تحت سيطرة الاحتلال زاد من اتساع السوق الاستهلاكية لمنتجات الغرب الصناعية ، وهذا أدى إلى تفوق الصناعة الغربية ، وكلما قوى المجتمع الأوربي وتفوق صناعيا كلما زادت رقعة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٢) راجع هامش ص ٥٢ من المصدر السابق .

استعماره فى قارة أفريقيا وقارة آسيا ...

وكلما زادت قبضة أوربا على ما تم احتلاله ، وكلما اتسع نفوذها السياسى و الاستغلالى زاد ضعف المجتمع الإسلامى الذى وقع تحت سلطة الاحتلال ، و زادت تبعيته و تقبله لما يأتى من الغرب .

ويوم أن تحرك المجتمع الأوربى لاحتلال المجتمعات المسلمة كان فى قمة مجده بما أنجزه من الفصل بين الكنيسة و الدولة ، واستقلاله بالسلطة الزمنية ، و بالحرية الفردية فى التفكير و التوجيه ، وبالحرية السياسية ، كما كان فى أشد الأوضاع حرصا على اتجاه (العلمانية) كمثال للإنسانية .

استصحب الاستعمار معه هذا الاتجاه بما يستتبعه فى الحكم ، والتوجيه، والتشريع والاقتصاد فى المجتمع الإسلامى الذى يتمكن منه .

وباستصحاب الاستعمار اتجاه العلمانية ، ومحاولة تطبيق هذا الاتجاه فى المجتمع الإسلامى ـ وهو مجتمع يغاير فى خصائصه ، وتاريخه وواقعه .. المجتمع الأوربى ـ اضطر هذا الاستعمار إلى أن يسلك طريقا يمكنه من هذا التطبيق : وهو طريق عزل المجتمع الإسلامى كلية عن ماضيه ، وعن تراثه العقلى ، والروحى والتوجيهى ، والسلوكى .

فإذا ما تم عزله أصبحت قيادته ميسرة ، وطيعة للمحتل ، وبالأخص للأجيال التى تنشأ فى ظل هذه العزلة .

ثالثا : تقدم الغرب العلمى :

لقد كان الغرب يملك تقدما علميا فائقا ، وتقدما ماديا هائلا ، وعبقرية تنظيمية مبدعة ، وروحا من الجَلَد والصبر على العمل والإنتاج ،

وروحا عملية فى مواجهة المشكلات ، سواء من ناحية الدراسة أو من ناحية التنفيذ .

ولا شك أن التقدم العلمى المذهل للغرب كان قويا دفاقا ، له من القوة والانتشار و الاستيلاء ما بهر العقول ، وفتن الألباب ، ولا غرو فقد بز بذلك كل تقدم علمى عرفه العالم ، وسمعت عنه البشرية فى التاريخ المترامى الأطراف ، واستطاع أن يخرج من الأسرار و يكشف من الاختراعات ما جعل أبصار الناس وعقولهم تتعلق به [1]. وبخاصة أن هذا العلم أصبح فى خدمة الإنسان فى كثير من مناحيه ، فاتجهت الأنظار والعقول والقلوب إلى الغرب، تتطلع إلى ما فيه من اكتشافات تأتى بجديد [2].

لقد واجه العالم الإسلامى مشكلة تقدم الغرب العلمى وجها لوجه ، وهذا التحدى السافر على طريق واحد ، وهو صاحب الحضارة العريقة ، والرسالة الدينية الخاتمة ، وصاحب الوصاية على البشرية ، بعد ما انسحبت كل الديانات و المذاهب القديمة ، متوارية من نوره الوهاج ، وحجته المشرقة ، وصاحب الرقعة الواسعة ، والثقافة المنتشرة ، والقوة الكبرى التى كان يحسب لها ألف حساب ، فكان تحدى الحضارة المادية الآلية للعالم الإسلامى أعظم من تحديها لأى أمة ، ولأى حضارة ، ولأى ثقافة ، وقد صاحب تلك الحضارة مذاهب فكرية ، وفلسفات مادية ، ونظم سياسية ، واقتصادية، وعمرانية واجتماعية وخلقية ، وكان لابد أن ينظر الناس ـ وبخاصة الشعوب

---

(١) د . توفيق يوسف الواعى : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٦٨٥

(٢) د . أحمد السايح : أضواء على الحضارة الإسلامية ، ص ١٥٠ .

المتخلفة ـ إلى هذه المذاهب ، والفلسفات و النظم ، نظرة تقدير واحترام ، لأنها نتاج تلك الشعوب المتقدمة ، وحصاد تلك الأمم المتطورة التى فتتت الذرة، وصنعت الطائرة والصاروخ ، وأدارت الأقمار[1]. وغزت الفضاء، لتراقب سلوكيات الإنسان كلها وبخاصة تحركات المجتمعات المسلمة ، ولتكتشف من الفضاء الواسع ما يزيدها من العلم تمكنا ، وأصبحت المجتمعات الإسلامية تمجد الحضارة الأوربية ، والتقدم العلمى والصناعى ، واستطاع الغرب أن ينقل الإنتاج المادى إلى المجتمعات الإسلامية فى أفريقيا وفى آسيا ؛ لاستخدام هذا الإنتاج فى تيسير الحياة والتغلب على صعوبات المشاق التى تصحب عادة الحياة الإنسانية المتخلفة ، أو البدائية ، وذلك ليكون شواهد مادية، ترى وتختبر فى التطبيق وفى واقع الحياة[2].

رابعا : تخلف الشعوب المسلمة عن ركب الحضارة :

إن المجتمعات الإسلامية حين أصابها الضعف الفكرى ، والتفكك الاجتماعى انشغلت بالتافه من الأمور ، فقادتها التفاهة إلى التخلف عن ركب العلم ، التقدم ، والحضارة . ومعنى هذا أن المجتمعات المسلمة انصرفت عن تعاليم الإسلام التى تدعو إلى العلم ، والمعرفة ، واستعمال العقل ، والفكر ، فى كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى الطريق السليم ، « **وواكب هذا الانصراف انحطاط فى القيم ، ودعوات إلى الركون إلى المتع والعبث بالأموال إلى حد السفه ، والجنون ، والترف والفجور ، حتى كان قواد**

---

(١) د . توفيق يوسف الواعى : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٦٨٦ .

(٢) د . محمد البهى : الفكر الإسلامى و المجتمع المعاصر ، ص ٥٤ .

هذا الركب فى كل ناد ، وكل صحيفة ، مع جهل ضارب ، ونفاق ناشب أظفاره ، وفساد فى كل مجتمع وناد ، وتصارع على كل تافه وخسيس من المادة ، وخراب للذمم ، وبيع للشرف ، وكره للقيم ، وضياع للحق ، وهضم للحقوق ، وذبح للفضيلة » [1]

وكان وضع البلاد الإسلامية كما صوره شاعر تركيا الإسلامى الكبير محمد عاكف « يسألنى الناس : إنك كنت فى الشرق مدة طويلة ، فما الذى شهدت يا ترى ؟ وما عسى أن يكون جوابى ؟ إننى أقول لهم : إننى رأيت الشرق من أقصاه ، فما رأيت إلا قرى مقفرة ، وشعوبا لا راعى لها ، وجسورا متهدمة ، وأنهارا معطلة ، وشوارع موحشة ، رأيت وجوها هزيلة متجعدة ، وظهورا منحنية ، ورءوسا فارغة ، وقلوبا جامدة، وعقولا منحرفة .

رأيت الظلم والعبودية ، والبؤس ، والشقاء ، والرياء ، والفواحش المنكرة المكروهة ، والأمراض الفاشية الكثيرة ، والغابات المحرقة ، والمواقد المنطفئة الباردة ، والحقول السبخة القاحلة ، والصورة المقززة ، والأيادى المعطلة ، والأرجل المشلولة .

رأيت أئمة لا تابع لهم ، ورأيت أخا يعادى أخاه ، ورأيت نهارا لا غاية له ، ولا هدف . ورأيت ليالى حالكة طويلة ، لا يعقبها صباح مسفر، ونهار مشرق » [2].

---

(١) د . توفيق يوسف الواعى : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٦٩٦ .

(٢) راجع السابق ، ص ٦٩٦ و انظر أبا الحسن الندوى : الصراع بين الفكرة الإسلامية و الفكرة الغربية ، ص ٣٥ .

هذا التخلف أضعف الثقة بالنفس ، وأوقف عجلة التقدم والانطلاق في الشعوب المسلمة ، وجعلها تعتمد في كل شيء على غيرها . إن التخلف العقلي لا يكمن في عدم الذهاب إلى الجامعات واكتساب المعارف فقط بقدر ما يكمن في التبلد ، والخمول ، والنوم ، والرضا بالدون،و موت الهمة [1]

ومن المؤكد أن الأمة التي تفضل أو ترضى بالتواكل ، والاستجداء ، والكسل والتبعية أمة لا تستحق الحياة الكريمة ، والحياة الحرة الكريمة لا تتأتى لأمة دون ثمن ، والثمن هو التضحية ، ولا يتأتى لأمة أن تشق طريقها في الحياة وأن تستعيد وجودها وكرامتها ، وتعيد صنع حياتها ، دون أن تحاول جاهدة أن تبني نفسها بناء يتفق مع الاعتداد بالذات .

وقد يكون من المسلمات البديهية : أن ضعف الأمة في وجوده وجذوره، ليس ضعفا في قوة الدفع ، أو في القوة العسكرية ، وإنما يكمن في ذل النفوس ، وشعورها بالضعف ، وقد يكون من المسلمات البديهية أيضا أن فقر الأمة في جوهره وجذوره ليس فقرا في السلاح والمعدات ، أو فقرا في المال والإمكانات وإنما يكمن في فقر النفوس وعجزها ، وضعف الإرادة واضطرابها [2].

فالتخلف عن ركب التقدم و الحضارة يعود بالمجتمعات المسلمة إلى الانحطاط ، ويقودها طواعية إلى الهلاك كما تقاد الشاة إلى حتفها بظلفها ، ولذا كان هذا التخلف عاملا من عوامل الغزو الفكري الذي اجتاح البلاد والعباد .

---

(١) د . توفيق الواعي : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٦٩٨ .

(٢) د . أحمد عبد الرحيم السايح : معارك حاسمة في حياة المسلمين ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ط مكتبة دار اللواء ، بالرياض ، ١٤٠٩ هـ .

خامسا : الفراغ العقدى :

من المؤكد لدى الباحثين أن العقيدة هى الأمر الذى تثق به النفس ، ويطمئن إليه القلب ، ويكون يقينا عند صاحبه ، ولا يمازجه شك فيه ، ولا يخالطه ريب ، ويذكر العقاد : « أننا نعنى بالعقيدة الدينية طريقة حياة ، لا طريقة فكر ، ولا طريقة دراسة ، إنما نعنى بها حاجة النفس ، كما يحس بها من أحاط بتلك الدراسات ، ومن فرغ من العلم و المراجعة ، ليترقب مكان العقيدة من قرارة ضميره ، إنما نعنى بها ما يملأ الرءوس أو الصفحات[١] .

إن العقيدة التى يصح أن توصف بالعقيدة الدينية هى التى لا يستغنى عنها من وجدها ، ولا يطيق الفراغ من فقدها ، ولا يرفضها من اعتصم منها بمعتصم ، واستقر فيها على قرار[٢] .

ومن يتأمل العقيدة الإسلامية و يتدبر ما جاءت به من مفاهيم تناولت معضلات الحياة .. إن من يتأمل ذلك يحس بالاطمئنان ، ويتخلص من الحيرة التى تواجه كثيرا من المفكرين[٣] .

والحقيقة التى أثبتتها مئات السنين الحافلة بالأحداث ، والخطوب ، والمحن ، حقيقة أن العقيدة الإسلامية هى العقيدة الشاملة ، والعقيـدة المثلى للإنسان ، و المجتمع .. رعاية للروح والجسد ، وعمل للدنيا والآخرة وجهاد فى السلم و الحرب ، وتنظيم للعلاقات و الصلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والأمم .

---

(١) عباس محمود العقاد : العقائد و المذاهب ، المجلد الحادى عشر ص ٤٠٢ ط دار الكتاب اللبنانى، بيروت .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٣١ .

(٣) انظر أحمد السايح : عباس محمود العقاد فيلسوفا : رسالة « ماجستير » ص ١٦٦ .

فالعقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد و الجماعة ... ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد ، وتطهر نفسه .. وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك ، ويرتفع وينهض .

فالفرد بغير عقيدة كالريشة فى مهب الريح ، تحوله يمينا وشمالا ، فلا يسكن له حال ، ولا يستقر له قرار وليس له جذور تثبته [١].

والعقائد فى الأمم تقف سدودا بينها وبين الأفكار الوافدة ، أو المذاهب المقتحمة ، وتعطى أعماقا للصروح والمجتمعات والأفراد ،كما تمنح استقرارا وثباتا للإنسان فى الحياة .

أما إذا تركت الأمم عقائدها وتخلت عن غذائها الروحى ، وعن عمقها الإيمانى [٢]. فإنها تصبح فريسة لمن هب ودب .

والباحث فى أحوال الشعوب الإسلامية يجد أنها لم تحسن التخطيط ولم تستفد من الدروس ، فانطلقت فى سبيل الشهوات والملذات والطوائف والاختلاف ، وتركت تعاليم الإسلام التى تدعو إلى الفكر ، والعلم والحضارة فكان ما كان .

ترسيخ الحضارة الغربية

إن الباحث يلحظ بوضوح أن عوامل انتصار ثقافة الغرب على ثقافة المسلمين ، قد تركت آثارا بعيدة المدى فى المجتمعات الإسلامية ، وقد كان الخطر على الثقافة الإسلامية من الغزو الفكرى كامنا أولا : فى طبيعة الثقافة

---

(١) محمد أمين حسن : خصائص الدعوة الإسلامية ص ٢٥٧ ، ط مكتبة المنار /الأردن .
(٢) د . توفيق يوسف الواعى : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٧٠١ ، ٧٠٢ .

الغربية ، فقد كانت السلطات الاستعمارية تشرف على بث هذه الثقافة عن طريق المدارس ، وشتى وسائل الدعاية ، من كتب ومجلات وإذاعات ، وفتح الأبواب أمام الذين تشبعوا بهذه الثقافة من المسلمين . و إغلاقها أمام الذين أرادوا المحافظة على شيء من تقاليدهم وشخصيتهم [1].

ولقد كان في نشر الثقافة الغربية حرب ، وأي حرب على الفكر الإسلامي ، ذلك لأن الحضارة الغربية الحديثة كانت أثرا من آثار النزاع المسلح بين رجال الدين والعلم.

ويكمن الخطر ثانيا في تبني الحضارة الغربية للمؤسسات التعليمية والثقافية التي تبث ثقافتها وتعمل في الوقت نفسه على إظهار الإسلام بما ليس هو على الحقيقة ، وطمس معالمه الصحيحة ، وتشويه مبادئه المثالية [2].

وقد استطاع المستشرقون أن يحققوا كثيرا من الأهداف التي خططوا لها ، وأثاروا في العالم الإسلامي شبهات حول الإسلام ، ونبي الإسلام ، والمصادر الإسلامية ، وأحدثوا في نفوس المسلمين يأسا من مستقبل الإسلام ، ومقتا على حاضره ، وسوء ظن بماضيه .

ومما ساعد المستشرقين و من يلوذ بهم على الوصول إلى أهدافهم :

١ ـ وجود عدد من المسلمين الذين تأثروا بهم وساروا على خطاهم ، فكانوا أقدر منهم على التعكير على الثقافة الإسلامية .

---

(١) د . توفيق يوسف الواعي : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٨٠٣ .

(٢) د . عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية ، ص ١٠٢ .

٢ ـ تخلف العلوم الإسلامية ، و وقوف الفكر الإسلامي ، وإصابه المنهج الدراسى بجمود لم يسمح له أن يتجاوز عن خطه المرسوم قديما .

٣ـ الضعف السياسى الذى أصاب المسلمين ، وفقدان الثقة بأنفسهم وبما عندهم .

٤ ـ ما يتعهده خصوم الإسلام من إلباس الإسلام كل خطأ يقع فيه أبناؤه، فهم ينسبونه إلى الإسلام ، مع أن سببه ترك الإسلام والتخلى عنه .

٥ ـ هذا بالإضافة إلى أن المجتمعات الإسلامية أخذت بنظم التعليم الغربى كما هى .

ولقد نجحت الحملات التى قامت بها مؤسسات الغزو الفكرى الغربى فى تحقيق أغراضها نجاحا بعيدا حين ضمت إليها غالبية الفئة المثقفة من المسلمين ، وجعلتها فى صفها ، تحارب الإسلام وثقافته ، وأكثر من هذا أن هؤلاء المثقفين صاروا يستنكرون الثقافة الإسلامية إذا تناقضت مع الثقافة الغربية، وصاروا يستمرئون الثقافة الغربية و يتعشقونها ، ويتجهون من الحياة طبق مفاهيمها .

ومن الجدير بيانه : أن هذا النجاح الذى حققته مؤسسات الغزو الفكرى الغربى الذى تجاوز هذه الفئة المثقفة وغيرها يدرسونها ويطبقونها[١] .

طبيعة الصراع الثقافى :

من الحقائق التاريخية المسلم بها أن الغرب جرد حملات غزت الشرق الإسلامى باسم الصليب وتحت رايته ، وكان رجال الكنيسة فى أوربا يدفعون

(١) عز الدين الخطيب التميمى و آخرون : نظريات فى الثقافة الإسلامية ص ٤٥ .

الملوك و الشعوب إلى هذه الحروب ، فاتخذت بذلك طابعا دينيا ، شكلا وموضوعا ، وكان تفرق المسلمين إلى دويلات ، وضعف دولتهم مشجعا لهم على ذلك الغزو ، وليس صحيحا ما يحاول بعض الكتاب تصوير ذلك من أن الحروب الصليبية كانت مجرد حملات استعمارية باحثة عن المصالح الاقتصادية ، نعم قد يكون الاحتلال والاستغلال الاقتصادى من أهدافها ، لكنه بالتأكيد ليس الهدف الأول الرئيسى ، والهدف الأول والرئيسى إنما كان هدفا دينيا ، ولم تكن حماسة رجال الدين المسيحى ولا مشاركتهم فى هذه الحملات عفوا ولا لغوا [١].

فطبيعة الصراع الثقافى فى العصر الحديث طبيعة صليبية ، وإن جذور هذا الحقد قديمة ، ضاربة فى أعماق التاريخ ، تظهر عند ضعف المسلمين وانكسارهم ؛ حقدا يخرج من صدر واحد ، ولسان واحد ، وإن اختلفت الجنسيات ، و الديار و المشارب .

وهذا الحقد والضغن والمقت كان سببا قويا فى الإغارة على المسلمين بشتى الأساليب ، والطرق ، والأشكال والألوان ، وما زالت تلك الموجة تعلو وتشتد ، وتمتد ، ثقافيا ،وفكريا [٢].

إن العداء الصليبى للإسلام يأخذ شكل السعار الوبائى ، لدى الأمم الغربية ، ولذا تجدهم مستميتين يوزعون السموم ذات اليمين وذات الشمال،

---

(١) د . على محمد جريشة ، و محمد شريف الزيبق : أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى ، ص ١٦ ، ١٧ ، ط دار الاعتصام بالقاهرة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

(٢) د . توفيق يوسف الواعى : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٧٠٧

ويفترون الأكاذيب ، ويطمسون الحقائق ، ويدبرون المكائد ، ويتصيدون السقطات ، ثم يدخلون فى روع أنفسهم وفى عاطفة بنى جلدتهم أنهم أرقى عنصرا ، وأفضل عقلا ، وأنهم أوصياء على البشرية ، وسادة الإنسانية ، وهداتها ، ومرشدوها [(١)].

وظيفة الثقافة الإسلامية فى الصراع والمواجهة :

إن الغزو الفكرى مستمر ، وإن مؤسساته لا تفتأ عن العمل فى شن حملة تغريب واسعة ، تجعل المسلمين ينسلخون عن ثقافتهم ، وإن هذه المؤسسات لا تطمئن إلا إذا رأت الأمة كلها تحمل الثقافة الغربية ، وتنزل مفاهيمها على واقع الحياة ، وتأخذ بطراز معيشة الغرب وأسلوبه فى الحياة ، وهذا يستدعى من الأمة المسلمة وشبابها أن تعرف دورها ، وأن تدرك واجبها تجاه هذا الغزو الثقافى ، وأن تقف منه الموقف الذى يجعلها أهلا لحمل رسالة الإسلام ، وأهلا لتكون خير أمة أخرجت للناس ، وحتى يتأتى لها ذلك :

ـ أولا : لابد من الإدراك اليقينى الواعى أن العودة إلى الإسلام ـ عقيدة ونظاما ـ مسألة حياة .

ـ ثانيا : لابد من الإدراك أن الواجب الأكبر ، والسبيل الوحيد للإنقاذ من حياة الذل والشتات هو أن نفهم الإسلام فهما مشرقا صافيا ونقيا .

وذلك بالتصديق الجازم بعقيدته ، وبإدراك الأحكام الشرعية بأدلتها ،

---

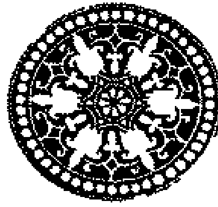
(١) المصدر السابق ، ص ٧٠٤

وأن تحمل رسالة الإسلام كما حملها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن يكون هذا الحمل للرسالة موافقا ومصاحبا هدم الثقافة الغربية ، ونقضها من الأساس للخلاص من شرورها التى أوجدتها فى عالمنا الإسلامى .

ـ ثالثا : لابد وأن نعمل على نشر الثقافة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها وأن نترجمها إلى مختلف اللغات ، ليتعرف عليها الناس .

رابعا : لابد وأن يصاحب ذلك قرار سياسى يجعل أجهزة الإعلام تواكب الدعوة الإسلامية فى مواجهتها للتيارات المنحرفة [1].

* * *



(١) المصدر السابق ، ص ٧٠٨ ـ ٧١٢ بتصرف واختصار .

خاتمـــة

إن الرحلة التى قضيناها فى « **موضوع الثقافة الإسلامية** » كانت تقتضى جهودا علمية ، أحسب نفسى أننى كنت أسعد الناس بها ، فأفضل وقت يستفيد منه الإنسان هو الوقت الذى يحصِّل فيه علما ، أو يسجل فيه محصولا علميا .

وموضوع الثقافة موضوع شيق عند النفوس المتطلعة إلى الثقافة الإسلامية ودورها فى الحياة .

ولذا شدنى التنقل من تعريف الثقافة إلى مفهوم الثقافة ، وصلة الثقافة بالمصطلحات الحضارية .

أما أسس الثقافة الإسلامية فإنها أكثر التصاقا بالإنسان ، ومن شأن المسلم المثقف أن يكون على علم بها .

وهذه الأسس تبين للباحث والدارس أصالة الثقافة الإسلامية وقدرتها على مواجهة التحديات التى تواجه الأمة .

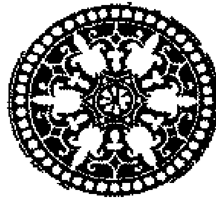
وخصائص الثقافة الإسلامية تبرز دور الثقافة الإسلامية والسمات التى تميز بها الإسلام .

إن هذه الخصائص التى تميز بها الإسلام من شأنها أن تأخذ بالإنسان المسلم إلى طريق الرشاد .

ولا يخفى أن انتشار الثقافة الغربية فى المجتمعات الإسلامية فيه خطر

كبير ، وسوف يعرض مجتمعاتنا إلى خلخلة ، وهزات ، ولهذا كان لابد من أن تواجه الثقافة الإسلامية الثقافات المناوئة ، والمواجهة ليست كلاما يقال، وإنما عمل يعمل ، وحركة ثقافية واسعة تهدر بها أجهزة الإعلام فتملأ بها الأسماع والقلوب...

* * *



المصادر و المراجع

١ـ إبراهيم خورشيد : مفهوم الثقافة ، مجلة (الفيصل) ، العدد : العشرون .

٢ ـ إبراهيم النعمة : المسلمون أمام تحديات الغزو الفكرى ، ط : الأولى .

٣ ـ د . أبو بكر ذكرى : النظم الإنسانية ، ط : دار الفكر العربى ، سنة ١٣٨٢ هـ ـ١٩٦٢ م .

٤ ـ أبو الأعلى المودودى : الإسلام اليوم ، ط : الثانية ، دار القلم ، بالكويت ، سنة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

٥ ـ آمنة محمد نصير : مباحث فى علوم العقيدة ، ط : مكتبة الكليات الأزهرية ، سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

٦ ـ أنور الجندى : الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة ، ط : الأولى ، دار الاعتصام ، بالقاهرة .

٧ ـ أنور الجندى ـ المد الإسلامى فى القرن الخامس عشر الهجرى ، ط : الأولى ، دار الاعتصام بالقاهرة ، سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

٨ ـ أبو الحسن على الحسنى الندوى ـ بين الصحوة والحقيقة ، نشر وتوزيع : المجمع الإسلامى العلمى بالهند .

٩ ـ أبو الحسن الندوى ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ط : الأولى .

١٠ ـ أنور الجندى ـ هزيمة الشيوعية فى عالم الإسلام ، ط : الأولى ، دار الاعتصام ، بالقاهرة ، الناشر : دار النهضة للطباعة الإسلامية ، بمصر .

١١ ـ د . حسين مؤنس ـ الحضارة ، ط : الثانية ، ببيروت ، سنة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م .

١٢ ـ رجاء الله جارودى ـ حوار الحضارات ، ترجمة : عادل العوا ، منشورات : عويدات ، ببيروت ، و باريس ، سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

١٣ ـ د . رشدى عليان ـ و سعدون الساموك ـ الأديان ، دراسة تاريخية مقارنة ، ط : الأولى ، دار الحرية ، ببغداد ، سنة ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

١٤ ـ د . سليمان حزين ـ مقومات الحضارة الإسلامية ، ط : المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية ، بالأزهر .

١٥ ـ د . سميح عاطف الزين ـ الإسلام و ثقافة الإنسان ، ط : الأولى ، بيروت ، سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

١٦ ـ د . سميح عاطف الزين ـ الثقافة و الثقافة الإسلامية ، ط : الأولى دار الكتاب اللبنانى ، ببيروت ، سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

١٧ ـ د . السيد رزق الطويل ـ العقيدة فى الإسلام ، منهج حياة ، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

١٨ ـ سيد قطب ـ خصائص التصور الإسلامى ، ط : دار الشروق ، سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠ م .

١٩ ـ د . أحمد السايح ـ أضواء على الحضارة الإسلامية ، ط : الأولى ، مكتبة دار اللواء ، بالرياض .

٢٠ ـ د . أحمد السايح ـ عباس محمود العقاد فيلسوفاً ، رسالة ماجستير .

٢١ ـ د . أحمد السايح ـ معارك حاسمة فى حياة المسلمين ، ط :

الأولى ، مكتبة دار اللواء ، بالرياض ، سنة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م .

٢٢ ـ د . أحمد السايح : فلسفة الحضارة الإسلامية ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٩٩٠ م .

٢٣ ـ د . أحمد العسال ـ مادة الثقافة الإسلامية ، مقال بمجلة (المسلم المعاصر) ، العدد : الخامس عشر .

٢٤ ـ توماس آرنولد ـ الدعوة إلى الإسلام ، ط : الأولى ، د . توفيق يوسف الواعى ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ط : الثانية .

٢٥ ـ التهانوى ـ كشاف اصطلاحات الفنون .

٢٦ ـ جمال الدين محمود ـ أصول المجتمع الإسلامى ، ط : القاهرة ، سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

٢٧ ـ د . جميل عبد الله محمد المصرى ـ حاضر العالم الإسلامى وقضاياه المعاصرة ، ط : الأولى ، سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ، المدينة المنورة.

٢٨ ـ د . حسن عبد الحميد عويضة ـ النظم الإسلامية و الحياة المعاصرة ط : الأولى ، سنة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

٢٩ ـ د . حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ، ط : الأولى ، الزهراء للإعلام العربى ، بالقاهرة .

٣٠ ـ سيد قطب ـ العدالة الاجتماعية ، ص : ٦٢ ، ط : الأولى .

٣١ ـ سيد قطب ـ مقومات التصور الإسلامى ، ط : الأولى .

٣٢ ـ صبحى الصالح ـ علوم الحديث ومصطلحاته ، ط : بيروت .

٣٣ ـ عادل العوا ـ القيم الأخلاقية ، ط : الشركة العربية للصحافة والنشر ، ببيروت ، سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

٣٤ ـ عباس محمود العقاد ـ العقائد والمذاهب ، ج ١١ ، ط : دار الكتاب اللبناني ، ببيروت .

٣٥ ـ عدنان محمد زرزور ـ فى الفكر والثقافة الإسلامية ،ط : الأولى .

٣٦ ـ د . عبد الحميد لطفى ـ علم الاجتماع ، ط الأولى ، القاهرة .

٣٧ ـ د . عبد الستار فتح الله سعيد ـ معركة الوجود بين القرآن والتلمود ط : دار النصر للطباعة الإسلامية ، بمصر .

٣٨ ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ـ أجنحة المكر الثلاثة ، ط : دار القلم ، ببيروت ، سنة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م .

٣٩ ـ عبد العزيز على المحيوتى ـ مجلة (المنهل) ، العدد : ٤٨٥ ، جمادى الآخرة ، سنة ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م .

٤٠ ـ د . عبد الفتاح الديدى ـ مجلة (الفيصل) ، المجلد الأول ، العدد السابع ، ط : الرياض .

٤١ ـ عبد الله كنون ـ مفاهيم إسلامية ، ط : الأولى ، دار الكتاب اللبنانى ، ببيروت ، سنة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م .

٤٢ ـ عبد الله التل ـ جذور البلاء ، القسم الأول ، ط : الثانية ، المكتب الإسلامى ، ببيروت ، سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٤٣ ـ عزت قرنى ـ الموسوعة الفلسفية العربية ، ط : الأولى .

٤٤ ـ د . عز الدين الخطيب التميمى وآخرون ـ نظرات فى الثقافة

الإسلامية ، ط : دار الفرقان ، بعمان ، الأردن ، سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م
٤٥ ـ ابن عطية الأندلسي ـ المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، ط : قطر، سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

٤٦ ـ د . عماد الدين خليل ـ العدل الاجتماعى ، ط : الأولى .

٤٧ ـ د . عبد الكريم عثمان ـ معالم الثقافة الإسلامية ، ط : الثالثة .

٤٨ ـ عمر بهاء الدين الأمير ـ وسطية الإسلام و أمته فى ضوء الفقه الحضارى ، ط : دار الثقافة ، بقطر ، سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

٤٩ ـ عمر التلمساني ـ الخروج من المأزق الراهن ، ط : دار الوفاء للطباعة والنشر.

٥٠ ـ د . عمر سليمان الأشقر ـ خصائص الشريعة الإسلامية ، ط : الأولى دار النفائس ، ببيروت ، سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ، الناشر مكتبة الفلاح ، بالكويت .

٥١ ـ عمر عودة الخطيب ـ المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية ، ط : مؤسسة الرسالة ، ببيروت ، سنة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م .

٥٢ ـ عمر عودة الخطيب ـ لمحات في الثقافة الإسلامية ، ط : مؤسسة الرسالة ، ببيروت ، سنة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

٥٣ ـ على أحمد مدكور ـ الثقافة و الحضارة فى التصور الإسلامى ، بحث فى مجلة (الدارة) ، الرياض

٥٤ ـ د . علي محمد جريشة ، د . محمد شريف الزيبق ـ أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامي ، ط : دار الاعتصام ، بالقاهرة ، سنة ١٣٩٨ هـ

١٩٧٨ م .

٥٥ ـ د . على محمد عبد الحليم محمود ـ الغزو الفكرى و التيارات المعادية للإسلام ، ط : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

٥٦ ـ د . عيسى عبده ـ دراسات فى المجتمع الإسلامى المعاصر ، ط : القاهرة ، سنة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٨ م .

٥٧ ـ فاروق حسان ـ مقال بمجلة (الخفجى) ، أبريل (نيسان) ، سنة ١٩٩٠ م . ، السنة : العشرون ، العدد : الأول ، السعودية .

٥٨ ـ د . فؤاد زكريا ـ خطاب إلى العقل العربى ، سلسلة كتاب العربى بالكويت .

٥٩ ـ الفيروز آبادى ـ القاموس المحيط .

٦٠ ـ الفيومى ـ المصباح المنير .

٦١ ـ القرطبى ـ الجامع لأحكام القرآن ، ط : الأميرية ، ببولاق ، القاهرة.

٦٢ ـ ابن القيم ـ زاد المعاد ، البابى الحلبى ، بمصر .

٦٣ ـ كريس موريسون ـ العلم يدعو إلى الإيمان ، ترجمة : محمود صالح الفلكى ، ط : الأولى ، مكتبة النهضة ، بمصر .

٦٤ ـ لجنة مفاهيم إسلامية ـ أهمية الكلمة ، ط : إيران ، دار التوحيد ١٤٠٢ هـ .

٦٥ ـ ألكسيس كاريل ـ الإنسان ذلك المجهول ، ط : دار المعارف ،

بمصر.

٦٦ ـ الطبراني ـ المعجم الصغير .

٦٧ ـ مالك بن نبي ـ إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الإسلامي ، ط : دار الإرشاد ، ببيروت سنة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

٦٨ ـ مالك بن نبي ـ مشكلة الثقافة ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، بإشراف ندوة مالك بن نبي ، ط : الرابعة ، دار الفكر ، سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

٦٩ ـ محمد أمين حسن ـ خصائص الدعوة الإسلامية ، ط : مكتبة المنار بالأردن .

٧٠ ـ محمد أبو زهرة ـ التكافل الاجتماعي ، ط : الأولى .

٧١ ـ د . محمد الدسوقي ـ دعائم العقيدة في الإسلام ، ط : كلية الدعوة ، ط : طرابلس ، سنة ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .

٧٢ ـ محمد الغزالي ـ الإسلام في وجه الزحف الأحمر ، الناشر : المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا .

٧٣ ـ محمد صالح عثمان ـ وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية ، ط : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

٧٤ ـ محمد المبارك ـ العقيدة في القرآن الكريم ، ط : دار الفكر ، بيروت .

٧٥ ـ محمد المبارك ـ نظام الإسلام ، العقيدة و العبادة .

٧٦ ـ محمد رشيد رضا ـ نداء للجنس اللطيف ، ط : الأولى .

٧٧ ـ د . محمد عبد الله دراز ـ الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، ط : دار القلم ، بالكويت .

٧٨ ـ د . محمد فاروق النبهان ـ مبادىء الثقافة الإسلامية ، ط : الكويت.

٧٩ ـ محمد المبارك ـ الإسلام و الفكر العلمى ، ط : الأولى ، دار الفكر ببيروت ، سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٩ م .

٨٠ ـ محمد رأفت سعيد ـ المدخل لدراسة النظم ، ط : الأولى .

٨١ ـ د . محمد خلف الله أحمد ـ أثر الحضارة الإسلامية فى رقى الإنسانية ، بحث منشور فى المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية .

٨٢ ـ محمد قطب ـ جاهلية القرن العشرين .

٨٣ ـ محمد الرابع الحسنى الندوى ـ الثقافة الإسلامية والواقع المعاصر ، ط : دار الصحوة ، بالقاهرة ، سنة ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .

٨٤ ـ محمد أسد ـ الإسلام على مفترق الطرق ، ط : الأولى .

٨٥ ـ محمد حسن آل ياسين ـ مفاهيم إسلامية ، ط بغداد ، سنة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م ، الناشر : مكتبة النهضة ، ببغداد .

٨٦ ـ د . محمد فتحى عثمان ـ القيم الحضارية و دور الشباب المسلم ، ط : الدار السعودية ، سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ، الرياض .

٨٧ ـ د . محمد على الهاشمى ـ الإسلام و الحضارة و دور الشباب المسلم ط : الثانية ، الندوة العالمية للشباب الإسلامى ، المؤتمر المنعقد فى الرياض ، من : ٢٠ ـ ٢٧ من شهر ربيع الثانى ، سنة ١٣٩٩ هـ ـ

١٩٧٩م .

٨٨ ـ محب الدين الخطيب ـ الغارة على العالم الإسلامى ، ط : سنة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .

٨٩ ـ المنذرى ـ الترغيب و الترهيب .

٩٠ ـ محمد المدنى ـ المجتمع الإنسانى كما تنظمه سورة (النساء) ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بالقاهرة ، سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .

٩١ ـ د . محمود بن شريف ـ الأديان فى القرآن ، ط : دار عكاظ ، بجدة ، سنة ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

٩٢ ـ د . محمود شفشق وآخرون ـ التربية المعاصرة ، ط : بيروت .

٩٣ ـ محمود شلتوت ـ القرآن وبناء المجتمع ، ط : دار الكتاب العربى ، سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .

٩٤ ـ محمود شلتوت ـ الإسلام عقيدة و شريعة ، ط : الأزهر ، سنة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .

٩٥ ـ مصطفى الزرقا ـ وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية و الشبهات التى تثار حول تطبيقها ، ط : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٩٦ ـ محمود محمد شاكر ـ المتنبى : رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا ، ط : مكتبة الخانجى ، بالقاهرة ، سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

٩٧ ـ مصطفى الزرقا ـ المدخل الفقهى العام ، ط : مطبعة الحياة ، بدمشق .

٩٨ ـ د . مصطفى السباعى ـ السنة و مكانتها فى التشريع الإسلامى ، ط

المكتب الإسلامى ، ببيروت ، سنة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

٩٩ ـ د . محفوظ على عزام ـ نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ط : دار اللواء ، بالرياض ، سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

١٠٠ ـ د . ماهر كامل ، و عبد الله أمين صالح ـ ثقافة أساسية ، ط : بيروت ، سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .

١٠١ ـ د . منصور رجب ـ نظام الإسلام ، ط : الأولى ، سنة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م ، بالقاهرة .

١٠٢ ـ د . محسن عبد الحميد ـ تجديد الفكر الإسلامى ، ط : دار الصحوة للنشر ، بمصر ، سنة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

١٠٣ ـ د . محسن عبد الحميد ـ النظم الإسلامية و المذاهب المعاصرة ، ط : دار الرشيد ، بالرياض ، سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

١٠٤ ـ مناع خليل القطان ـ وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية و الشبهات التى تثار حولها ، ط : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

١٠٥ ـ مجمع اللغة العربية ـ المعجم الفلسفى ، ط : الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة .

١٠٦ ـ معهد الإنماء العربى ـ الموسوعة الفلسفية العربية ، ط : بيروت ، سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

١٠٧ ـ د . نادية شريف العمرى ـ أضواء على الثقافة الإسلامية ، ط : مؤسسة الرسالة ، سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

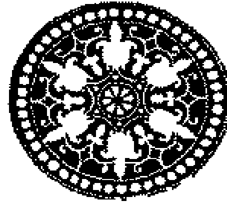
١٠٨ ـ هنرى جيب و مجموعة من المستشرقين ، دائرة المعارف

الإسلامية .

١٠٩ ـ د . يعقوب المليجى ـ المدخل للثقافة الإسلامية ، ط : مؤسسة الثقافة الجامعية ، بالإسكندرية ، سنة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

١١٠ ـ د . يوسف القرضاوى ـ خصائص التشريع الإسلامى ، ط : الأولى .

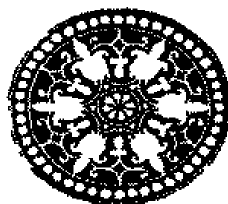
* * *



فهرس الموضوعات

الموضوع : الصفحة

* * *



رقم الإيداع
٩٢/٩٥٤٧
I . S . B . N
977 - 270 - 048 - 4

تجهيزات أوفست

جهاد

٦٢ج شارع سنان - الزيتون - القاهرة .

هـذا الكتـاب

لقد خلق الله الإنسان ، وكرمه وفضله على سائر خلقه تفضيلا ، وكان مناط هذا التفضيل إنما هو العقل الذى حباه الله به ، ووهبه إياه ، قال الله تعالى :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ الإسراء ٧٠

فالعقل هو وسيلة تحصيل المعارف المختلفة ، والثقافة ليست إلا مجموعة من المعارف يكتسبها الإنسان ، ولا يحتفظ بها بطريقة معزولة عن الحياة ، وإنما يدخل بها إلى معتركها سلوكا وتوجيها .

والثقافة الإسلامية على وجه الخصوص لها تأثيرها القوى والفعال ؛ حيث أنها تستمد كيانها ووجودها وقضاياها من كتاب الله ، وسنة رسوله ـ ﷺ ـ فهى بذلك تتفق مع فطرة الإنسان التى فطره الله عليها .

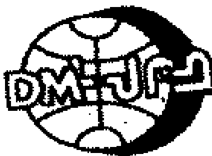
والإنسان المسلم لابد أن يتابع قضايا عصره ، وثقافات الأمم من حوله ، ويتناولها بالعين الفاحصة ، والفهم المتحصن بمبادىء الإسلام وتعاليمه وشرائعه .

وهذا الكتاب إنما يتناول قضايا الثقافة الإسلامية ويقدمها لك أخى القارىء صافيةً نقية ، تنهل من معانيها ، وترتوى من فيض بحارها .

ومؤلف الكتاب وهو فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد عبد الرحيم السايح غنى عن التعريف ، وله فى ذلك المجال الباع الطويل .

والله من وراء القصد ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

الناشــــر



الدار المصرية اللبنانية

طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبد الخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ - برقيا: دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box [illegible] Cairo-Egypt PHONE: [illegible] FAX: [illegible] CABLE DARSHADO